غياب "محمد منصور الشقحاء"
رؤية سردية جديدة في الأدب السعودي المعاصر

دراسة نقدية

بقلم
الأستاذ الدكتور
على عبد الوهاب مطاوع
أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية التربية بنين
جامعة حائل المملكة العربية السعودية

غياب " محمد منصور الشقحاء "
رؤية سردية جديدة في الأدب السعودي المعاصر

بقلم الدكتور
على عبد الوهاب مطاوع
أستاذ الأدب والنقد المساعد
جامعة الأزهر

أما قبل ....

إن الشقحاء بقصه في "الغياب" يؤكد أن القصة القصيرة أصبحت جزءاً رئيساً من النسق العربي، لاسيما بعد تفاعلها وتحاورها وتجاوبها مع الواقع العربي، وزواجها زواجاً شرعياً بالبيئة العربية في اهتمامها، واتجاهاتها، وأمزجتها الخاصة والعامة، وعلاقاتها المتباينة .

تقديم

الحمد لله الذي هدانا سُبلنا، والصلاة والسلام على حبيبنا أشرف الخلق هادينا إلى صراط الله المستقيم. وبعد،،

فهذه صفحات أردت لها أن تقترب من روح الدراسات العلمية في موضوعيتها بالتلاحم مع النص العربي المعاصر، وتقديم جهد يتوازي- على الأقل- مع قيمة هذا النص المبدع، بعيداً عن لغة التعصب أو التعسُّف واحتدام الصراع الذاتي الذي نراه بين بعض النقاد ومبدعي العربية اليوم. فيكون عوناً له في أداء رسالته. والوصول إلى غايته، لا عبئاً عليه.

وفي إطار هذا النهج جاء هذا العنوان : " (غياب) محمد منصور الشقحاء.. رؤية سردية جديدة في الأدب السعودي المعاصر ، سعياً إلى تواصل الأجيال العربية، وانفتاح وتفاعل مع الإبداع العربي أينما كان، " فالحياة الأدبية في حاجة إلى التفاعل الدائم بين النقاد والمبدعين، وبدون هذا التفاعل يخبُو وهج الفن، وتنطفئ شعلة الإبداع "[1]. ومن ثم تستوعب الأمة فيما بينها المتغيرات الفكرية والثقافية والاجتماعية، وتحيا الطرح الموضوعي لقضاياها التي تنشر الوعي، وتتأمل الواقع، وتستشرف المستقبل، رغبة في منجز حضاري يبعثها من جديد، " وأملاً في انبثاق قيم جديدة أصيلة نابعة من موروثنا الروحي، وواقعنا الاجتماعي، وتطلعنا إلى كيان عربي إسلامي، يُعيد لهذه الأمة شموخها وحضارتها وأصالتها"[2].

---

(١) التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث : د/ صابر عبد الدايم صـ ط١ الخانجي بمصر سنة ١٤١٠هـ سنة ١٩٩٠م.

(٢) المرجع السابق : الصفحة نفسها.

وكان المنهج الذي تصوره هذا العنوان، هو اختيار آخر أعمال الكاتب والشاعر والقاص السعودي محمد بن منصور المحمد الشقحاء الشهير بـ "محمد منصور الشقحاء". وهي مجموعته القصصية " الغياب " [1] وإن نشرها مؤخراً مرة ثانية مع بعض الحكايات والقصص القصيرة تحت عنوان : "المحطة الأخيرة"[2] لكن البحث ارتضى لمادته المجموعة الأصلية " الغياب " التي لم يتعرض لها دارس " أو تنفرد بها دراسة مستقلة حتى كتابة هذه السطور.

وهي مجموعة تتنوع في طرحها السّردي انطلاقاً من البيئة العربية/ الواقع/ المجتمع/ الألم/ الأمل/ الوجود.. دُون أن تنسلخ عن الإطار العام الذي تنتمي إليه: " الأدب/ الرسالة ".. وانطلاقا من هذا الطرح تعددت الرؤى والزوايا والأبعاد، والتي يتم من خلالها إلقاء النظرة العلمية أولاً على عالم القصة القصيرة من خلال مدخل تنظيري جاء على عجل لبعده عن تخصصية البحث التي تقترب من دائرة النقد التطبيقي. دون إغفال لسيرة المحتفى به في هذه الدراسة، والوقوف على مرحلة " عطائه الإبداعي المتواصل ".

ومن بعد تأتي المواجهة الحقيقية للنص عبر نظرة علمية متأنية متأملة.. قراءةً وتحليلاً وتنظيراً لهذه الرؤية السردية من خلال " معالم السّرد القصصي في هذه المجموعة (الغياب) عبر أبعادها وآفاقها وجماليات تشكيلها الفني بدءاً من :

---

(١) المطبوعة بمصر سنة ٢٠٠٥م. كما سيأتي تفصيله.

(٢) المحطة الأخيرة.. حكايات وقصص قصيرة : محمد المنصور الشقحاء. ط أولى دار الفارابي بيروت لبنان. سنة ٢٠٠٨م

بعدها اللّغوي والأسلوبي (البنائي) ، وبعدها الزمكاني، وبعدها التراثي والرمزي، وبعدها الواقعي الاجتماعي ، وبعدها التجديدي الذي ظهر جلياً في سرده مما جاء في صورة ما عرف (بالقصة القصيرة جداً). وكلها أبعاد سوف تتناولها المحطات القرائية للخطاب السردي في معالم السرد عند الشقحاء.

راجياً من الله سبحانه وتعالى أن تُقدم هذه القراءة إسهاما متواضعاً في دائرة النقد التطبيقي بالانفتاح على الإبداع العربي في مجال القصة القصيرة في قطر عربي، وارتياد آفاقه. وعلى الله قصد السبيل.

د/ علي عبد الوهاب مطاوع

- **مدخل إلى القصة القصيرة :**

يثبت الواقع الأدبي في عالمنا العربي يوماً بعد يوم أنّ المشهد السّرديّ لفن القصة القصيرة ما زال ماضيا- وبصورة متوهجة- في التنوع والتجدُّد والتعدُّد في أنماطه واتجاهاته وأشكاله، وروّاده، حتّى أصبح من العسير الوقوف على شكل ثابت لهذا الفن الذي يطولُ ليقترب من الرواية القصيرة، ويُكتنز أحياناً أخرى ليصل إلى شكل الأقصوصية، بل يتعدى الشكلين إلى ما يُسمّى بالقصة الصورة، أو الإسكتش"[1] مؤكداً هذا الواقع على حقيقتين :

- الأولى : أنّ القصة القصيرة تمثل العتبات الأولى للولوج إلى عالم السّرد الرّحب، حيث الرواية التي لا يُقيّدُ فيها الكاتب بزمانٍ أو مكانٍ أو عدد من الشخصيات، أو يتوقّف عند حدّ بعينه من طولٍ وقصرٍ في حجم الكتابة.
- الثانية : أنّ القصة القصيرة تُعدّ بوابة الفُتوح لأيّ موهبة في بدء طريقها الإبداعي بما تتميز به من سهولة ويُسر، واكتناز في صغر حجمها، وإيجازٍ تتّسمُ به. وهو ما يُفسرُ هذا الكمّ الهائل، والفيض الجارف من القصّ القصير المتنوع والمتطور الذي نطالعه لأقلامٍ عديدة على امتداد خارطة الأدب العربي، احتضنتها صحفٌ ومجلاتٌ ودورياتٌ متخصصة وغير متخصصة في الإبداع العربي، متأثرةً في الوقت نفسه بفكر

---

(١) وفي هذا النوع من القصّ ينحصر همّ الكاتب في تصوير لقطعة من لقطات الحياة لاستشفاف معنى باطن قد تمر به العين ولا تراه. وتبدو النهاية هنا مفتوحة، أي أنّ القصة تبدو لنا دون نهاية. للمزيد راجع هنا :
الأدب وفنونه الأدبية : د/ محمد عناني صـ ٩٧ سلسلة مكتبة الشباب رقم (٤) وزارة الثقافة المصرية ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٨٤م.

وثقافة هذه الإصدارات التي وهبت المجتمع العربي رواداً لا حصر لهم من المثقفين ساعدوا بدورهم التنويريّ المتميز في توهج سماوات التعليم في الوطن العربي بأسره.

ومن ثمّ تعددت زوايا الرؤى والنظر إلى هموم المجتمع وقضاياه. " وقد ثبت أنّ لون الثقافة- شأنه شأن خصوصية التجربة- ذُو أثر بارز في توجيه كتابة القصة القصيرة "[1]. وعلى هذا الأساس يمكن تفسير اتجاه يوسف إدريس وعبد السلام العجيلي إلى التمرس بالعناصر الطبية (أو المرضية) في بعض أقاصيصهما ليغنى ثقافتهما وتجربتهما معاً في هذا المجال، واتجاه نجيب محفوظ إلى الغوص في أعماق الشخصية المصرية وسبر أغوار المجتمع من خلال الحارة المصرية التي لم يبرحها في جل أعماله انطلاقاً من ثقافته النفسية التي اكتسبها من دراسته الجامعية، وكذلك اتجاه محمد منصور الشقحاء إلى هموم المجتمع السعودي وقضاياه، حيث يركز على تصوير الشخصيات في حياتهم اليومية الخاصة، من ملابسات وتقاليد معينة سواء كانت عائلية أو اجتماعية أو مزاجية لثراء تجربته الحياتية من خلال عمله بالصحافة السعودية التي كشفت له الكثير من أحوال مجتمعه وأسرار بيئته، وغيرهم ممّن عبدوا في هذا الفن طريقاً، ورسموا فيه اتجاهات.

وليس بخاف على الناقد الحصيف، والدارس الأدبي المُدقّق أنّ التوسّع العمراني الذي أعقبه تنوع اجتماعي مردوف بتنوع ثقافي- فكري.. إبداعي، صاحبه تدفق إعلامي متباين، ما بين مسموع ومرئي ومقروء كان سبباً رئيسياً وراء نشأة القصة

(١) القصة العربية أجيال وآفاق : دراسة الدكتور إحسان عباس. صـ ١٠. كتاب العربي رقم (٢٤) ط. الكويت يوليو سنة ١٩٨٩م.

القصيرة [1] بشكلها الفني الجديد الناضج، وإحساس الإنسان المعاصر أنه كائن فرد له وجوده الخاص. وليس مجرد عنصر له دور محدّد في تنظيم اجتماعي.

ومن ثمّ جاءت القصة القصيرة تعبيراً عن روح هذا الإنسان الفرد، حتى ولو كان قليل الأهمية أو مهمشاً. إذ إنها لا تستلزم بطلاً ملحمياً عظيماً، يعلو ليسقط، ولكنها تركز على أحزان وشجون الإنسان الصغير، تُضيء الواقع من حوله كلمحة برق فتساعده ولو للحظة على رؤيته وتمحيصه ولو للحظات.[2] يقتنصها القاص الناجح قبل أن تنسرب مفلتة من بين يديه، واضعاً إياها في نظام معين يكتب لها التَميز الذي يتجلّى في ما يُسميه النقاد بـ " وحدة التأثير ". ففي القصة القصيرة- كما في الرواية- يجتمع الموضوع والحبكة والحدث والأشخاص والجو والتيمة (أي العنصر الذي يمنح القصة القصيرة مغزاها أو معناها) وغير ذلك من عناصر، لتعمل معاً متضافرة متآزرة. [3]

ومعلوم أن الإنسان بطبعه ينزع إلى القصّ، وهو يُحاول إسباغ معنى على الأحداث اليومية أو يحاول أن يمنطقها أو يجد بينها

---

(١) وإن ظهرت القصة القصيرة بوصفها جنساً أدبياً على صفحات المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية في أوروبا القرن التاسع عشر بعد أن أصلها في جمهورية الأدب ثلاثة كتاب هم : الفرنسي موباسان، والروسي تشيخوف، والأمريكي إدجار ألن بو. راجع هنا : البحث عن آفاق أرحب مختارات من القصة الكويتية المعاصرة : إعداد وتقديم د/ مرسل فالح العجمي. صـ ٥، كتاب العربي رقم (٧١) ط. الكويت، يناير سنة ٢٠٠٨م.

(٢) عن الدهشة والألم ٥٠ قصة بأقلام عربية : تقديم د/ سليمان العسكري صـ ٤ ٥، كتاب العربي رقم (٦٨). ط. أولى الكويت أبريل سنة ٢٠٠٧م.

(٣) القصة العربية أجيال وآفاق : صـ ٨.

رابطاً يجعل منها سلسلة متصلة الحلقات. كما يحاول أن يجعل من حياته قصة أو عدة قصص، ويحاول أن يربط بين هذه القصص وبين المشاعر والأفكار التي يستخلصها من حياته [1].

ومن هنا كانت كل قصة تمثل علاقة ما بين كاتبها والحياة، وأنّ هذه العلاقة تعكس رؤية خاصة، وأن هذه الرؤية قد تصور موقفاً أو حكماً خاصاً، وعلى الرغم من هذا القول أو ذلك المنحنى فإنّ ذلك أبعد ما يكون عن تحديد مهمة القصة القصيرة ودورها. لأن هذا الوصف لا يُميزّها كثيراً عن غيرها من الأنواع الأدبية، ولأنه يمنح كل قصة قصيرة الاستقلال بمميزاتها، ويجعلها كوناً صغيرا له نظامه الخاص به. ولهذا كان الوصول إلى تعريف شامل للقصة القصيرة يُعد محاولة غير ذات جدوى، مثلما أن حصر الأشكال الناجحة منها يفوت كل محاولة.

فقد أثبتت الأيام أن هذا اللّون الأدبي- القصة القصيرة فن المجتمع الحضري كما يصفه أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تطور مستمر، وأنه فنّ مرهف دقيق شديد الحساسية، وأنّ أشكاله تتعدد وتتكاثر كلما اختلفت التجربة أو تغيرت زاوية التركيز عند كاتب دون آخر بتعدد زوايا النظر إلى مشكلات المجتمع وقضاياه. الأمر الذي يجعلنا نوافق على القول بأن : القصة القصيرة أكثر مناسبة لطبيعة المجتمع العربي اليوم من سائر الفنون[2]، حتى الشعر، ذلك المنافس القوى الذي سيظل ديوان العرب إلى أن يشاء الله، وإن تراجع قليلا في المعاصرة بعد ارتدائه ثوباً جديداً، وشكلاً مغايراً لبنية القصيدة العمودية التراثية، وفقده القدرة على المنافسة مع الأجناس الأدبية الأخرى، وفي مقدمتها القصة..

---

(١) الأدب وفنونه الأدبية : د/ محمد عناني. صـ ٩٢ ٩٣ بتصرف.

(٢) للمزيد راجع : القصة العربية أجيال وأفاق. من صـ ٨ ١٠ بتصرف.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن القصة تُشبه القصيدة الغنائية في أنّ : كلتيهما محكومة بشيئين، بالبؤرة الشعورية التي تنمو إحداهما حولها، وبطول مهما يمتد، فإنه لا يتجاوز مقداراً تحتمه وتقرره دورات نموّ لابد أن تقف به عند حدّ، ثم تختلف كلتاهما في ما عدا ذلك. ولهذا فإن مقتل القصة القصيرة- فيما يراه كثير من النقاد- أن تفلت من يد كاتبها فتتحول إلى قصيدة في مستوى التعبير ونوع التصوير والسياق العام، وعند ذلك تفقد خصائصها التي تكفل لها استقلاليتها[1]، بوصفها قصّا يطلق على كل قول- كما يقول : جان لوفيف- " يستحضر إلى الذهن عالماً مأخوذاً على محمل حقيقي في بُعديه المادي والمعنوي ويقع في زمان ومكان محددين، ويُقدم في أغلب الأحيان معكوساً من خلال منظور وشخصية أو أكثر، بالإضافة إلى منظور مختلف عن الشعر" [2] ذلك الإرث الإنساني الخالد، الممتد بجذوره في أعماق الزمن.

ولاشك أن القصة / السرد المطلق- هو الآخر له مكانته الممتدة في أعماق التاريخ الإنساني على خلاف من يذهب إلى القول بأن " القصّ له تاريخ عريض في العربية ولكن لا يمتد طولاً في الزمن "[3]، بينما جاء هذا الفن ممارسة إنسانية قديمة قدم الأساطير. شاملاً شمول الحكى في الحياة الإنسانية، فعلاً سردياً يتمظهر في تجليات مختلفة عبر الحقب البشرية، كما في الملحمة، والمسرح الكلاسيكي، والمقامة العربية، والسرود العربية القديمة كالحكايات الرمزية، وحكايات الطير والحيوان، فمنذ أن جاء الإنسان إلى الحياة

---

(١) القصة العربية أجيال وآفاق : صـ ١٠.

(٢) بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم صـ٢١. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.

(٣) القصة العربية أجيال وآفاق :: صـ ٩.

كان الطفل يقفز ويضرب، يعمل ويُغني، ويتحدث ويخترع، ويحكى في الوقت نفسه، وتجذب الجدّة أحفادها بالحكى، وترهبهم بالأسطورة، ويلقى الإنسانُ آخر، بعيدا عن شواغل الحياة والعيش، فيملآن فراغهما بسمر تلعب فيه الحكاية دوراً ملحوظاً، أو خرافة تمثل خوارق الطبيعة، أو مجوناً يدغدغ عواطف السامع، أو سخرية تثير الضحك، أو مركباً للوعظ والتربية.

وحينما جاء الإسلام كانت كلمة (القص) قد اكتسبت معناها المألوف، وذلك حينما استخدمها القرآن في معناها الأول من قص الأثر أي تتبع المسار كما جاء على لسان أم موسى لأخته أن تتتبع مساره، وذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1]، ومن ثم في معناها الثاني برصد الأحداث كما جاء في قول الله تعالى فيما كان بين شعيب نبي الله وموسى كليمه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ﴾[2]، ليدرك القرآن الكريم دور القصة في إثارة الوجدان، وتحريك العواطف. وجذب انتباه القارئ والسامع، فجعلها إحدى وسائله في تحقيق غاياته، من إثبات الوحي، وتأكيد الرسالة السماوية الخاتمة، وتأصيل الدعوة الإسلامية، دون أن تأتي عملاً فنياً مستقلاً، بل خضعت لغايات هدف إليها الكتاب الحكيم، فجاءت ألواناً في صورة :

- التاريخية : كالتي تدول حول شخصيات ماضوية من الأنبياء والمرسلين.
- أو التمثيلية : كالتي يُقصد بها البيان والإيضاح، أو الشرح والتفسير نحو قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ

(١) سورة القصص : آية (١١).
(٢) سورة القصص : آية (٢٥).

مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] فليس المراد أن الله تعالى- كما ذهب الإمام محمد عبده(٢)- يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها، وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا.

- أو الغيبية الإرشادية : والتي تخالف كلا اللونين السابقين، ذلك أنها ليست أحداثاً تاريخية واقعية تناولها القرآن ورتبها ترتيباً يحقق الغاية من إيرادها، وليست قصصاً تمثيلياً أحداثه مفروضة أو متخيلة، وإنما هي قصة بأكملها، وهو ما نطالعه في قصة " هاروت وماروت " في قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

أو نطالعه في قصة الهبوط التي تلتقي فيها الألوان الثلاثة السابقة.. وذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

(١) سورة ق : آية (٣٠).
(٢) تفسير المنار : ١/٢٨٠
(٣) سورة البقرة : آية (١٠٢).

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾[1].

وقصة الهبوط هذه.. هو الاسم الذي اختاره لها فيلسوف الإسلام المعاصر الشاعر محمد إقبال، وقد رأى أنها قصة رمزية أو قصة أسطورية [2].

وليس هذا موضع رصد للمراحل التي قطعها هذا الفن السّردي في تطوره إلى الشكل الذي وصل إليه في القرن التاسع عشر الميلادي الذي لا نكاد نتجاوزه إلى القرن العشرين حتّى عمّ العالم بأسره، واتخذ منه كثيرون قالباً يصبّون فيه خطراتهم، ورؤاهم.

---

(١) سورة البقرة : الآيات من (٣٠ ٣٨).

(٢) راجع القصة بتفاصيلها في : القصة القصيرة : للدكتور / الطاهر أحمد مكي من صـ ٢٥ ٢٩. والذي بسط الحديث حولها بحثاً علمياً دقيقاً. ط٣ دار المعارف المصرية، سنة ١٩٨٣م.

وملاحظاتهم، وتلتقي فيه بكلّ طبقات الكُتّاب، وبكلّ ألوان المذاهب والاتجاهات التي تعكس روح العصر ومجتمعه، ومختلف الاهتمامات والمفاهيم والعلاقات التي تنوعت، وتقدمت، وتطورت مع تطور هذا الفن تطوراً ملحوظاً في مطلع هذا القرن " الحادي والعشرين " الذي شهد توهجاً وسمُوّاً فيه " الفن القصصي " بكل أنماطه.

ولكن يبقى أن نقول : إن القصة القصيرة أصبحت مع الزمن تحمل صبغةً محليةً أعمق، تتوجه إلى العمومية، كما يقول الدكتور / محمد شاهين[1]، وهذا معناه أنها أصبحت أكثر اعتماداً على البيئة العربية، وأكثر تفاعلاً معها، وأنها لم تعد انبهاراً بنماذج وافدة [2]. مما تؤكده مجموعة " الغياب " التي معنا لكاتبنا السعودي محمد منصور الشقحاء. هذه الصورة السردية التي أبدعها بحيوية مبدعة فائقة، ودقة في لغتها التي جاءت حافلة بالمعاني التي حققت إبداعا كبيراً كشف واقعية سرده الذي أفصح كثيراً عن طبيعة المجتمع السعودي الذي يعيش فيه الكاتب، مُعبراً- في صدق فني- عن بيئته العربية التي عايشها على أرض الواقع كما تظهر مسيرة عطائه الإبداعي التي قاربت الأربعين عاماً.

---

(١) M Shaheen, The Modern Arabic Short Story, Macmillan press (1989) P. ٩١

(٢) القصة العربية أجيال وآفاق : صـ ٩ مرجع سبق ذكره. وللمزيد حول أصول القصة راجع :

- القصة القصيرة دراسات ومختارات : د/ الطاهر أحمد مكي من صـ ٧ ١٠٥.
- الأدب وفنونه الأدبية : د/ محمد عناني من صـ ٩١ ٩٨.
- عن الدهشة والألم ٥٠ قصة بأقلام عربية : تقديم د/سليمان العسكري ص ٤ ٧ ط الكويت سنة ٢٠٠٧

- **الشقحاء .. عطاء إبداعي متواصل :**

بتوهج تبزغ كل صباح شمسه في سماوات الإبداع على أرض جزيرته. يُطل عليك بعطائه الإنساني المتدفق، وثورته الأدبية والفكرية والإصلاحية المتأججة، بدأب لا يكل ولا يمل، وبإبداع يوميّ متنوع، يواصل الأديب السعودي الكبير محمد منصور الشقحاء الركض في فضاءات الكلمة المبدعة/ الهادفة/ الملتزمة في مسيرة عطاء إبداعي متواصل استمرت قرابة الأربعين تماما، كاتباً، أديباً، ناقداً، مبدعاً، قاصّاً لامعاً. وشخصية بهذا العطاء، وذلك التميز، وبهذا الحضور والتواجد الحقيقي في رياض الكلمة المبدعة تدعو أي باحث إلى تتبع حياة صاحبها عبر مراحلها الحياتية، وعطاءاتها، وعلاقاتها بالآخرين.. إبداعاً وتغريداً، وتقديراً وتكريماً، ودرساً وبحثاً، وقيادة، ومشاركة. وكلها محطات بارزة في حياة أديبنا الكبير محمد منصور الشقحاء تتطلب التوقف عندها ولو من طرف خفيّ من باب التقدير لقامة أدبية تُعد اليوم على رأس القصة القصيرة في المملكة. والتبجيل من جانب آخر لشخصية أدبية بهذا التفرد ومع ذلك لا تستشعر منه غروراً أو كبرياءً أو أنفةً أو تعاليا في معاملته مع الآخرين.

. فالرجل- كما شاهدته لأول مرة[1]- صفحة بيضاء مفتوحة تقرأه بسهولة، يتسلّلُ إلى قلبك من أول إشراقة يهلُّ عليك فيها

---

(١) كان ذلك في فندق الموفنبيك " بمدينة بريدة بالمملكة العربية السعودية على هامش ملتقى القصيم الأدبي الرابع في الفترة من (٥ ١٤٢٩/١١/٧هـ الموافق ٣ /١١/٢٠٠٨م)، حيث عايشته معايشة تامة خلال ثلاثة أيام بلياليهن كانت الجلسات النقاشية تمتد فيها حتى الواحدة صباح اليوم التالي. اقتربت فيها من قلبه وعقله وإبداعه وإنسانيته، فوقفت على الكثير من سيرته الذاتية الإبداعية عن قرب".

بوجهه الصبوح وبشاشته ودماثة خُلقه. وتواضعه الجمّ في حديثه الحسن مع الآخرين، وسمته الهادئ الوديع الصّمُوت. مما يُفسّر حفاوة هذه الأقلام[1] بهذا الرجل الرائد الخلوق، وتقليده بتسع قلادات جديدة على هاشم ملتقى نادي القصيم الأدبي الرابع للقصة القصيرة في المملكة العربية. تسع ورقات بحثية ودراسية تغوص في أعماق إبداع الشقحاء الرائد القصصي كشفت عن أصالته وواقعيته في فنّه.

ومع أنّ الرجل قد وُلد في مدينة الرياض عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٣م إلا أنني لم أجد أثناء بحثي في سيرته الشخصية تسلسلاً حياتياً منتظماً، أو استقراراً مكانياً في حياته. وأظن أنّ هذا يرجع إلى تلك المحطات الرئيسة في حياته والتي شكلت وجدانه، وصاغت جل تجاربه الإبداعية وهي :

- **الأولى** : تتمثّل في يُتمه الذي اقتحم حياته مبكراً، ومن ثمّ تبدلت حياته وتلونت بألوان الفقر والتقشف وصنوف المحن والحرمان مما اضطره للتنقل هنا وهناك هائماً في بحار الغربة والشتات ليتحمل المسئولية في مطلع حياته من عمره ويكفل نفسه.
- **الثانية** : وهي محطة في حياته جاءت نتيجة لمرحلة يتمه وفقره ومعاناته، وتمثلت في تعثره العلمي. فقد حال اليتم والفقر والحرمان دون إكمال مسيرته التعليمية والوصول إلى الجامعة لكنه لم يستسلم أو يتراجع عن طلب الريادة والوصول إلى غايته. فلم تُثنه تلك الظروف القاسية. فواصل

---

(١) من الأساتذة الدكاترة / حمد السويلم، محمد عبد الحكيم، خليل أبو ذياب، على مطاوع، يوسف العارف، محمد القاضي سعيد شوقي، علاء حمزاوي، صالح بن إبراهيم الحسن، راجع برنامج فعاليات ملتقى نادى القصيم الأدبي الرابع، سنة ١٤٢٦هـ.

طلب العلم والتعلم ذاتياً وتثقيف نفسه بنفسه دون أن يقرأ على أستاذ له أو يلقنه شيخ أحد العلوم. بل جاء عصاميًا في ثقافته التي اكتسبها بعناء وكدّ وتلقّاها قراءة وجمعاً من شتات متفرق. فقرأ يوسف إدريس، ونجيب محفوظ، والروائي والقاص السعودي إبراهيم الناصر، وغادة السمان، وكوليت خوري، وحسن عبد الله القرشي، وحسن سرحان، وأحمد عبد المعطي حجازي وغير ذلك من الأدب المترجم إلى العربية.

يقول الأستاذ الشقحاء في إحدى مقابلاتي معه : " تشكلت قراءاتي من هذه المجموعة المختارة، وبدأت أقلد أعمالهم الجيدة حتى وصلت إلى طور الاستقلال والمنهج الذاتي الخاص بي في الكتابة[1]". وهو ما يُبرز موهبته العلمية في طريقة تثقيف نفسه. ويكشف عن حافظته الناضجة وذاكرته الحادّة التي وعت الكثير من ينابيع الأدب. وهو منهل واسع ورده جعل من الشقحاء رائدا بارزا من الرواد الذين شاركوا بإبداعهم في خلق كيان القصة القصيرة بالمملكة العربية السعودية.

" فلم يمنعه يُتمه أو تعثره أو تعيقه ظروف نشأته القاسية من أن يصل إلى تلك المكانة الرائدة في مجال القصة القصيرة بعد مسيرة إبداعية بلغت خلالها إصدارته القصصية اثنتي عشرة مجموعة قصصية تتضمن قيماً فنية ومضمونية ما زالت أرضاً خصبة للنقد والدراسة والبحث[2].

---

(١) في مدينة بريدة بالقصيم مساء الثلاثاء ١٤٢٩/١١/٦هـ الموافق ٢٠٠٨/١١/٤م.

(٢) مجلة أبعاد السعودية : العدد الثالث ذو القعدة سنة ١٤٢٩هـ نوفمبر ٢٠٠٨م صـ ٦٩ بتصرف. تصدر عن نادي القصيم الأدبي بريدة – السعودية .

- الثالثة : محطة الصراع الذي سكنه منذ مطلع حياته- صراع من أجل وجوده، من أجل أُمّته من أجل حاضرها وتراثها ومكانتها الثقافية والمعرفية، بل صراع من أجل إنسانية الإنسان الذي سرى العفن إلى جذوره، ويبست أوراقه، وتقصفت أغصانه وأصبح فارغاً لا شيء بداخله. وقد أشار إلى هذا الصراع المحتدم بداخله في مجموعته " المحطة الأخيرة " التي " يخاطب فيها القراء عن صراع الإنسان ليرى انعكاس صورته في المرآة من خلال القيم التي فقدت المعنى الأصيل، بحثاً عن فهم جديد لما نحن فيه من تدهور[1]". تدهور في القيم وانحدار في الأخلاق !!.

ترى ذلك الصدى أيضا في مقالاته التي لم يبرح فيها حلبة الصراع الأدبي الذي يعيشه من أجل أُمّته.. من أجل إصلاح ثقافي، وإقرار نظرية إصلاحية ثقافية لبلاده تعنى بالرواد ومنتجهم الفكري الإنساني، وتناهض في الوقت نفسه ثقافة التخلف.. مما أعلنه في أكثر من موضع في مقالاته المتعددة، ودعا إليه رفاقه من أصحاب الرأي والفكر والإبداع الملتزم.. نذكر من ذلك قوله لهم :

" علينا أن نتحدث بصدق ونكون أوفياء مع الموقف الذي فيه يكون التضامن الجماعي لنجاح الفعل وفق آلية الوعي بأننا موجودون، وأن ساحتنا الأدبية ثرية وقائمة على إحساس المبدع بذاته التي هي إحدى مكونات المجتمع[2].."، "... وعلينا أدباء وكتّاب الأمة تنمية ذواتنا والتعاون لقيام جمعية الأدباء والكتّاب.. لن تختلف

---

(١) المحطة الأخيرة .. حكايات وقصص قصيرة : محمد منصور الشقحاء الغلاف الأخير.

(٢) المجلة الثقافية : العدد (٢٦٢) صـ ٢٣. الاثنين ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ ٢٤ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م.

على الاسم إذا شعرنا بواجبنا الوطني وأننا وعاء معرفي قائم على تراث خالد وتاريخ مجيد معه تم تشكيل المؤسسة الحكومية الفاعلة القائمة على القانون والنظام الذي معه تأتي المشاركة من خلال مؤسسات المجتمع المدني، وحقنا الثقافي الضائع كأدباء وكتّاب : في الداخل! والمحاصر من الخارج.

فالأدب إبداع منطلق من الذات، والثقافة قائمة على الفرد الذي هو حراك المجتمع، ومنطلقه يأتي من مؤسسات المجتمع المدني، ودور الحكومة رقابي مرتبط بالترخيص للتأسيس وحمايتنا من الانزلاق السياسي والتجاوز الاجتماعي الذي يصل إلى التطرف "[1]. وهو هنا لم يرغب في منصب، ولم يطمع في قيادة وهو المبدع المسكون بالوجع القومي لأمّته لأنه يعي مكانة أمته في هذا الوجود. ".... المملكة العربية السعودية.... المركز الحضاري المتجدد من خلال الوعي بالمنجز الإنساني وأبعاده الروحية والجسدية الغنية بالبهاء السماوي في زمن الكلمة الحق [2]. لكن قصاراد أن " ... يُدرك أنّ من حوله يراقبون فعله كمنتج مؤثر قائم على التجديد والبناء الراشد بهمّ المجتمع المدرك لقضاياه وقيمه الكريمة [3]".

وبعيداً عن هذه المنظومة التي شكّلت شخصية الشقحاء العصامية، وكوّنت وجدانه، ودفعت به دفعاً نحو الريادة في فن القصة القصيرة، والعطاء اللا محدود لمجتمعه. نجد تألقه البارز في نشاط المجتمع المدني إيماناً منه بضرورة الإبداع وأهميته في نهضة الأمم

---

(١) المجلة الثقافية : العدد (٢٥٩) صـ ٢٢ الاثنين ٥ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ ٣ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م.

(٢) المجلة الثقافية : العدد (٢٦٠) صـ٨ الاثنين ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ ١٠ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م.

(٣) المرجع السابق : نفس الصفحة والعدد.

ومجتمعاتها بوصف الإبداع منتجاً مؤثراً قائماً على التجديد والبنـاء الراشد بهم المجتمع المدرك لقضاياه وقيمه.

حيث شاركا في تأسيس نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، وتولى أمانة سر مجلس إدارة نادي الطائف الأدبي من عام ١٣٩٥هـ حتى استقال عام ١٤١٦هـ. كما شغل عضوية عدد من الجمعيات ومنها الجمعية العربية السعودية لهواة الطوابع بمكة المكرمة، الجمعية العربية للثقافة والفنون فرع "الطائف"، ونادي القصة السعودي، " الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض". كما كان عضواً شرفياً بنادي جدة الثقافي، ونادي مكة المكرمة الأدبي الثقافي، ومثّل نادي الطائف الأدبي في الاجتماع السنوي برؤساء وممثلي الأندية الأدبية في الاجتماع الأول الذي عقد في نادي القصيم الأدبي ببريدة عام ١٤٠٤هـ، وفي الثاني الذي عقد في الرياض عام ١٤٠٥هـ، وعدد من اللقاءات، كما شغل الشقحاء عضوية اللجنة العليا للتنشيط السياحي بالطائف، وأصدقاء المكتبة العامة بالطائف، وحضر وشارك في العديد من اللقاءات المنبرية في الأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون والمكتبة العامة.

- **الشقحاء مُبدعا :**

وإذا عدّدنا مؤلفات الأديب القاص محمد منصور الشقحاء وجدنا التنوع المثري عبر مجموعة من الأعمال الأدبية التي ساهم من خلالها إسهاماً متميزاً في إثراء الحركة الأدبية والإبداعية في ساحات العمل الإبداعي السعودي، وكانت البداية مع المجموعة القصصية " البحث عن ابتسامة " والتي أصدرها نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٦ هـ-١٩٧٦م، وأُعيدت طباعتها في عام ١٩٨٥م، وفي العام التالي له أصدر النادي أيضا للشقحاء ديوانا شعرياً بعنوان " مُعاناة "، ثم صدر له عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ديوان شعري

آخر تحت عنوان " بقايا وجود" في عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، وفي نفس العام صدرت مجموعته القصصية " حكاية حب ساذجة " وتوالت أعماله الإبداعية من القصة القصيرة والتي سنتوقف عندها بعد قليل.

كما أصدر الشقحاء ديواناً شعرياً ثالثاً تحت عنوان " مقاطع من أوراق عاشق "، ومختارات شعرية أسماها " قصائد من الصحراء ". وساهم في إثراء المكتبة العربية. بمجموعة من الكتب والدراسات الأدبية ومنها : نادي الطائف الأدبي مسيرة وتاريخ، تحفة الطائف في فضائل الحبر بن عباس ووج الطائف لابن فهد، تحقيق وتعليق ومراجعة بالاشتراك مع الأستاذ محمد سعيد كمال، الشعر (كتاب دوري "١") بمشاركة الأستاذ على حسن العبادي، القصة (كتاب دوري "١، ٢، ٣")، نماذج من القصص السعودية، مقالات في الأدب (كتاب دوري "١، ٢") بمشاركة الأستاذ على حسن عبادي، كلمات حتى نصل (مقالات في الأدب والحياة)، أسئلة (مقالات في الأدب والحياة).

- **"الشقحاء على مائدة النقاد :**

وكما أعطى كاتبنا الشقحاء للإبداع العربي وأخلص له، أعطاه الدرس الأدبي والنقدي العديد من الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية مؤكدةً مكانته الرائدة على خارطة الإبداع العربي في المعاصرة لاسيما في مجال القصة القصيرة. حيث صدرت عدة دراسات منها : صوت في القصة السعودية- محسن يوسف-. دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء- الدكتور طلعت صبح السيد، السهم والمسمار (دراسة تطبيقية في قصص محمد الشقحاء)- فؤاد نصر الدين حسين، قراءة في أدب الشقحاء- الدكتور عبد القادر كراجة، قراءة في بعض أعمال القاص محمد الشقحاء- إبراهيم بن سلطان، عالم الشقحاء القصصي- الدكتور محمد الصادق عفيفي وآخرون، متابعات نقدية- مجموعة من

الكتاب، إثباتات مشرقة (سيرة ذاتية وانتقائية في أدب محمد الشقحاء)- محمد سعد الليثي.

كما اشتملت عدة كتب على دراسات لأعماله ومنها : إصدارات لنادي القصيم الأدبي مثل، العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية- الدكتور طلعت صبح السيد، الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية- الدكتور مسعد بن عيد العطوي، القصة بين التراث والمعاصرة- الدكتور طه عمران وادي.

بالإضافة إلى عدد آخر من الكتب التي تناولت أعماله مثل : كاتب وكتاب- حمد الزيد، وقفات مع بعض القاصين- الدكتور محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث- الدكتور محمد بن سعد بن حسين، أصوات سعودية في القصة القصيرة- أحمد فضل شبلول، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية- الدكتور مسعد بن عيد العطوي، البناء القصصي في القصة السعودية المعاصرة- الدكتور نصر محمد عباس، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية- الدكتور صالح محمد الشنطي، جماليات القصة القصيرة- الدكتور حسين على محمد، الطفولة وعالم الراشدين في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية- الدكتور محمد محمد بن سليمان القويفلي، القصة السعودية المعاصرة- اختيار وتقديم الدكتور طه وادي، القصة القصيرة في كتاب الدارسين العرب- أميرة على الزهراني، معجم الأدباء والكتاب (الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية)، دليل الكتاب والكاتبات، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين (خلال مئة عام من ١٣١٩هـ/١٤١٩هـ- إعداد أحمد سعيد بن سالم)، ودليل الأدباء والكتاب في دول مجلس التعاون لدول

الخليج العربية، وموسوعة الأدب العربي السعودي الحديث (نصوص مختارة ودراسات)، أنطولوجيا الأدب السعودي الجديد (مختارات)- عبد الناصر مجلي، قراءات ودراسات أدبية منشورة- سليمان الأفلس ملفي الشراري، حواراتي مع الأدباء السعوديين- صالح خيري. الراصد (ببليوجرافيا) خالد أحمد يوسف، من أدباء الطائف المعاصرين- إعداد علي خضران القرني، الكتاب السعودي خارج الحدود- الدكتور أمين سليمان سيدو- الببليوجرافية الوطنية السعودية.

- **الشقحاء ... المكرّم :**

والشقحاء بكفاحه الثقافي ومسيرته في العطاء والتدفق الأدبي لم يغب عن منصات التكريم والتقدير وهو من الرواد الذين أثروا المشهد الثقافي بالمملكة العربية السعودية بإبداع متنوع متفرد. فحصل على مجموعة من شهادات التقدير والدروع تقديرا لدور الريادي في إثراء الحياة الأدبية ببلدة ، حيث نال شهادة تقدير من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، كما حصل على عدد من الدروع وشهادات التقدير من اللجنة العليا للتنشيط السياحي بالطائف (من عام ١٤١٠هـ إلى عام ١٤٢٠هـ)، منحته مؤسسة رعاية الأطفال المشلولين بالرياض درعا وشهادة تقدير، كما أهدته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالطائف ونادي الطائف الأدبي مجموعة من الدروع وشهادات التقدير،وتمّ تكريمه في إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجة في جدة[1]

---

(١) الاثنينية منتدى أدبي ثقافي تأسس بجدة عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٢م بمبادرة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة الراعي الأول لهذا المنتدى الذي انطلق كمجلس أدبي فكري خاص (للاحتفاء والاحتفال برواد العلم والفكر والثقافة والأدب، وأن يكون مجلس أدب تتصل أجواؤه بذكريات تلك الجلسات الصباحية التي كان يلتقي فيها نخبة من كتاب وشعراء وأدباء الوطن في مكتب (الوالد) الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجة رحمه الله=

وكرّمه نادي القصيم الأدبي خلال ملتقاه عن " القصة القصيرة والقصيرة جداً " المنعقد في الفترة من ٥-١١ ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ بمدينة بريدة. وهو في رأيي الشخصي أسمى تكريم وتقدير قُدّم لكاتبنا الشقحاء بوصفه مبدعاً ورائداً من رواد القصة القصيرة في بلاده. فتكريم الأديب لا يكون بالدروع أو الشهادات أو القلادات وحسب، بل تكريمه الحقيقي يكون بمكانته كمبدع في الدرس النقدي والبحث الأكاديمي العلمي، والتفاف النقاد والدارسين والباحثين حول إبداعه، وإقبال عشاق الإبداع العربي من محبي الأدب حول أعماله. (درجة القبول عند الآخرين/ المتلقي).

وأرى أن ما قُدم حوله من دراسات سبق الحديث عنها يُعَد تكريماً لا يساويه ولا يعدله أي تكريم آخر رسمي، فالرجل لا يتطلع رسمياً إلا " لإدراك أنّ من حوله يراقبون فعله كمنتج مؤثر قائم على التجديد والبناء الرائد بهمّ المجتمع المدرك لقضاياه وقيمه الكريمة[1]، مما التزمه جيداً في مجموعته القصصية التي معنا " الغياب "، وكشف عن أبعاده المتباينة فنياً.

- **و " الغياب " :**

هي المجموعة القصصية الثانية عشرة من عطاء الأديب السعودي الكبير محمد منصور الشقحاء، والتي صدرت عن سلسلة

=بجريدة أم القرى). وكان ضيف المساء الأول (٢٢ ١ ١٤٠٣هـ الموافق ٨ ١١ ١٩٨٢م) الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل والأديب والباحث الرائد في مجالات عدة أهمها روايته (التوأمان) التي بها يؤرخ للرواية السعودية. راجع للمزيد : اللجنة الثقافية : العدد (٢٦٠) صـ ٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ ١٠/١١/٢٠٠٨م.

(١) المرجع نفسه.

أصوات معاصرة[1] في عددها الخامس والأربعين بعد المائة في مايو عام ٢٠٠٥م، ومن قبل صدرت له مجموعات :

البحث عن ابتسامة عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، حكاية حب ساذجة عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مساء يوم في آذار عام ١٤٠١هـ-١٩٨١م، انتظار الرحلة الملغاة عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الزهور الصفراء عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، قالت إنها قادمة عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الغريب عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الانحدار عام ١٩١٣هـ - ١٩٩٣م ، الرجل الذي مات ،وهو ينتظر عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، الطيب عام ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الحملة

---

(١) سلسلة أدبية معاصرة أسّسها المبدع المصري الشاعر الناقد الأديب الدكتور/ حسين على محمد في ٨ إبريل عام ١٩٨٠م، بمدينة دير نجم بإقليم الشرقية بمصر. وقد شاركه في الإصدار العديد من رموز الأدب العربي المعاصر في مصر، في مقدمتهم رفيق دربه شاعر الأزهر الناقد الأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس. والأحباب من عشاق الحرف الأخضر : الأديب الناقد الدكتور أحمد زلط، والأديب محمد سعد بيومي، والشاعر الراحل عبد الله السيد شرف، والفنان أحمد مخيمر.

وقد دشّن لها مؤسسها ومحررها الأول موقعا على شبكة الإنترنت في الأول من شهر يوليو عام ٢٠٠٢م لمواكبة عالمية إبداعها الذي تعدى حدود مصر. للمزيد من التفصيل حول هذه السلسلة الأدبية الرائد يراجع هنا :

* المشهد الشعري في رباعيات حسين على محمد : د/ عبي عبد الوهاب مطاوع صـ ٤٢ وما بعدها ط الراعي الزقازيق مصر سنة ٢٠٠٥م.
* مقالات في الأدب العربي المعاصر : د/ حسين على محمد من صـ ٦٦ ٨١ ط سلسلة أصوات معاصرة مصر، العدد (١٣٥) السنة (٢٥) ديسمبر سنة ٢٠٠٤م.

عام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. ومن ثم يتضح لنا أن مسيرة كاتبنا القصصية جاءت متصلة لم تتوقف طوال الثلاثين عاماً الماضية.

وقد حرص أديبنا الشقحاء كعادته بأسلوبه الشائق على أن يقدم لنا من خلال " الغياب " سرداً جميلاً، منطلقاً من فضاء مدينته الأثيرة (الطائف) غالبا، ومن مدينته التي يقيم فيها الآن الرياض [١]. كاشفاً عن عوالم حميمة، يكاد يتقاطع من خلالها صوت السيرة (سيرة أبطاله المطاردين) مع الشعرية الشفيفة التي يقدمها في جمل قصيرة، تحمل تاريخ أبطاله، وطموحاتهم الصغيرة وانكساراتهم المروعة![٢]" مما يؤكد أننا أمام مجموعة قصصية تكشف عن خبرة صاحبها الطويلة بذلك الفن السردي المحكم.. فن القصة القصيرة الذي أخلص له، وأعطاه الكثير من حياته الإبداعية، وهيأ له الطريق الصحيح، والمُناخ المناسب ليكون وجها من وجوه الإبداع السعودي البارزة في المعاصرة، وأحد أهم من كتب القصة القصيرة في المملكة.

كما تؤكد هذه المجموعة في الوقت ذاته أنها لكاتب رائد من الروّاد الذين قدّموا لبلدهم- العربية السعودية- ومُحبّي العربية

---

(١) حيث ولد في عام ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧م كما ذهب الدكتور طلعت صبح. راجع كتابه حول هذا الموضوع.
دراسة في القصة القصيرة عن محمد الشقحاء : د/ طلعت صبح السيد صـ ٣٦ ط. اولى دار الحارثي الطائف سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. وإن امتدت أصوله كما اتضح لي من خلال بحثي في سيرته هنا في المملكة إلى منطقة القصيم التابعة للمنطقة الشمالية بالعربية السعودية، وهو ما يؤكده احتفاء هذه المنطقة بإبداعه.

(٢) الغياب : قصص قصيرة لمحمد منصور الشحقاء الغلاف الأخير بقلم د/ حسين على محمد، ط. أولى أصوات معاصرة : السنة (٢٦) العدد (١٤٥) مايو سنة ٢٠٠٥م.

وآدابها الكثير والكثير من الإبداع الإنساني الأخلاقيّ الملتـزم، بـل لكاتب متمرس على خوض غمار هذا الفنّ الأدبي الرفيع، حيث يمتلك أدواته الفنية، ويُحكم قبضته عليها. ومن ثمّ جاء بصـيراً بمعالمـه الفنية، جريئاً في اقتحام ميادينه، وصوغ مواضيعه ومضامينه. تلـك التي تحتاج دائماً إلى التجديد في الشكل والرؤى، وطريقـة التنـاول السردي. وهو ما سعى إليه كاتبنا محمـد منصـور الشـقحاء فـي مجموعته التي بين أيدينا، والتي أسماها " الغياب " لـيعلن مـن أوّل وهلة عن حقيقة بوحه الإبداعي الذي أراه وقد تمركز في بؤرة فنية واحدة، لكنه سرعان ما يتماوج فـي جـوهر البنـاء الفنـي العـام للمجموعة بأكملها كما يتضح من السطور التالية التي تتوقـف عنـد معالم سرده بتحولاته وخطابه المتنوع.

• * معالم السرد القصصي في " الغياب"

-١-

قص " الغياب" سرد فني يكشف ويحلل ويرصد ويرسم بوضوح وصدق ملامح شخصيات وأحداث وأمكنه ومدن ودروب وأحياء وقصور في المملكة، من خلال عين أديب كاتب ناقد واع، يسرد كل هذه الرؤى سرداً سلساً واضحا عبر مشاهد ثقافية واجتماعية وإنسانية وذاتية وأحياناً سياسية في بناء قصصي جمالي معبر عن واقع ممتع ومشوق في سبكه الأسلوبي الذي يجعلنا نقبل عليه ونستعذ به حتى في أكثر المواضع والأحداث بؤساً وألماً وسواداً وعتمة . ولا عجب في ذلك " فالقصة مورد عذب يتزاحم عليه ويرده القارئون من مختلف المستويات ، فلا تكاد تنشر قصة حتى يتلقفها القراء، ويقبلون على قراءتها، لما فيها من متعة ولذة فنية. فالتشويق، والإثارة ، والسهولة في العرض والوضوح في المغزى والقصد عناصر تمتاز بها القصة[١].

ناهيك عن براعة الكاتب وقدراته الخاصة التي تميز بناءه الفني وهو ما يظهر في خصوصية لغته وأسلوبه، ومعاملته الفنية مع موضوعاته وأحداثه وشخوصه وأبطاله، وأمكنته وعناوينه ، ومنهجه وطريقته في السرد، وتنوع أدواته التي يستخدمها في حكيه. ومن قبل ومن بعد موهبة الكاتب القصصية التي تكشف عن ثقافته أولا، ثم عمق رؤيته القصصية، وتبرز في الوقت نفسه عطاءه في هذا الجانب الإبداعي، ومدى استبطانه وتجديده فيه، مما تقف الدراسة عليه تحليلاً ومناقشة ونقداً تطبيقاً على مجموعة الشقحاء التي معنا عبر

---

(١) في الأدب العربي الحديث : د/ حمد بن ناصر الدخيل ص ١٣٧ ط أولى – نادي حائل – السعودية سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

المحاور التالية:التي عنونتها رقميا أملاً فيْ أن تبوح بأسرار جديدة ورؤى أخرى في هذا السرد للقارئ الكريم.. .

" ويخطئ من يظن أن القصة تسلية وتزجيه فراغ، لأن القصة ذات موضوع يعني القاص بعرضه ومعالجته، وذات قصد سام يهدف إلى تربية ذوق المجتمع، فالقصة تعالج قضية اجتماعية أو مشكلة نفسيه أو غيرهما من القضايا التي عاشها القاص أو رآها فانفعل بها ، فاتخذها موضوعاً لقصته[1]. وهو ما أشار إليه أحد النقاد[2] من أن كل كاتب في الوجود يضفي شيئاً من شخصيته ولون روحه ومشاعره على ما يكتب . ومن ثم فإن قوة إقناع الكاتب وآرائه ونبل تصوراته تنبعث مرة أخرى في صورة من التعبير طبيعية، لتأتي ذاتية الكاتب في مثل هذه الطريقة الأسلوبية ملونه بألوان نابضة تبرز حقيقة نقدية تقول إن الأسلوب هو الرجل مقابلة لحقيقة أخرى تثبت أن الأسلوب هو الفكرة.

وإذا كانت المقاربة النقدية السابقة التي تقول : إن كل كاتب في الوجود يضفي شيئاً من شخصيته ولون روحه ومشاعره على ما يكتب، فإن ما استشعرته من جملة سرد الشقحاء في هذه المجموعة.. من أنه من الكتاب الذين خرجوا إلى عالم الوجود/ عالم الكلمة المبدعة من عباءة مجتمعاتهم، أو ممن خرجوا من رحمه، فسكنوه وسكنهم ، وعانوا معاناته وأوجاعه، وحملوا عن كاهله قضاياه وآلامه- تقترب كثيراً من الصواب والجدة.

---

(١) في الأدب العربي الحديث : د/ حمد بن ناصر الدخيل ص ١٣٧

(٢) الأسلوب : د/ محمد كامل أحمد جمعة ص ٦٧ وما بعدها ط ٢ ، مكتبة القاهرة الحديثة – القاهرة ، سنة ١٩٦٣م.

ذلك أن القارئ لمجموعه " الغياب" يشعر بأن الشقاء يعيشه، يعيش معه همه وآلمه، وطفولته ويتمه – إن كان يتيما ، وأحلامه وآماله ، ورحلته في الحياة بحلوها ومرها، بما فيها من تعثر ووثوب، حتى الموضوعات التي يلتقطها من محيطه المعيش.. موضوعات نعيشها ونحياها، وألفناها في حياتنا ، موضوعات ، ثيمات، متميزة، معلومة. كالهم الإنساني ، الوطن/ الأم ، الطبقات الأرستقراطية وسكان القصور، صراع الخير والشر، الأب، الأم، الزوجه، الأبناء، الجار، المثقف العربي وتقلباته، المحن، الهجرة، أزمة القيم، العون، الخدم ، الرهان، الهزيمة، المرض، التفكك الأسري... الخ.

وهنا أستطيع القول بأن الذات هي محور الفكرة والبناء الفني في هذه المجموعة، وهذه الذات تتحدث عن نفسها تارة.. " طفولتي كانت في مدرسة دار الأيتام.. [1]" ، " لا أدري متى كان مولدي ، وأين ، ولمن أنتمي؟ تواردت هذه الخواطر وأنا أقف خلف المنبر حتى أقوم بإلقاء قصيدة شعر كتبتها للمسابقة الأدبية[2]". وتارة تتحول هذه الذات إلى شخصية بطولية ترى الواقع والشخصيات المحيطة بها التي لها تاريخ وواقع ، وتنمو ، وتنضج وتتألم وتتعذب، أو تموت أو تنتحر كالبطل "إيلاف"[3] الذي عاش في واقع أليم بائس ، وجو أسري فقد فيه الهدوء والحنان.. فتتلبس ذاته كل هذا الواقع، وسرعان ما تحياه لكن في لغة السرد التي عبرت عن مكنون نفسه ودواخله ، وأوصلته لنا بوصفها وسيلة تعبير، وفي الوقت نفسه تكشف الطبيعة الإنسانية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العدوانية او

(١) الغياب : ص ٣٣ .
(٢) السابق: ص ١٥
(٣) السابق : ص ٣٣ .

... أو.. للشخصيات. فمعلوم " أن التعبير في القصة – مهما اختلفت مناهج ناقديها – يتمثل في اختفاء كاتب القصة خلف شخصياته ومحاولة استنطاقهم مع مراعاة اختلاف مستويات كل منهم وإدراكه، وربط التعبير بالموقف الدال عليه[1]".

وسبر أغوار المجتمع السعودي واكتشاف واقعه وتعريته يعد خصوصية يتميز بها سرد كاتبنا محمد منصور الشقحاء. فالرجل يقول كل شيء ، ولا يستحي من ذكر شيء فيه مصلحة مجتمعه، فلم يخف شيئا لا في الحدث ، ولا في مشاعره ومخاوفه وتأملاته وخلواته، وهي جرأة إن دلت على شيء فإنما تدل على وطنية هذا الكاتب ومدى إخلاصه وحبه لمجتمعه الذي يتمني له كل جميل، وكل فضيلة ، وكل نهضة، وكل عدل اجتماعي !! رغم هذه المكاشفة التي لا يملكها سوى القليل من كتاب العربية السعودية اليوم..

فهو يتحدث بجرأة عن ذلك الرجل صاحب القصر في قصته " اللقاء"[2] بكل وضوح وشفافية دون خوف أو رعب أو تململ في السرد. فيصف كيف يشارك الجميع في حب الخشوم التي نطالعها كل يوم ويوقفنا على هذا المشهد الرسمي حينما وصل إلى بهو القصر الكبير والأضواء تتوهج من كل جانب، ورجال الشرطة يعجون في كل مكان، وفريق منهم يحدق في كل قادم بقسوة ناهيك عن أصحاب المهام الخاصة الذين برزوا في هذه الصورة المرعبة عند ظهور صاحب المقام الرفيع.. صاحب القصر، وجمع يسير من خلفه بخطوات وئيدة عليلة منحنية

---

(١) في القصة العربية: د/ يوسف حسن نوفل ، ص ١١٠ ، ١١١.
(٢) السابق : ص ٥ ٧ .

واصطف الحضور في خط للسلام .. عندها فقد البطل التركيز، وفقد المقعد ، وفقد الطريق إلى صاحبه الذي اصطحبه إلى هذا القصر والذي ما زال في الصف ينتظر دوره للسلام.

وفي قصة أخرى له "أبو سعيد"[1] يتحدث بصراحة ومكاشفة عن الخادمة الحبشية وكيف ملأت عليه البيت بعد إصرار زوجته على الطلاق، موضحا كيف تحولت إلى أنثى بعد زيارة تماضر شقيقة طليقته له في البيت .. يقول:-

" تبدل حال العاملة الحبشية بعد زيارة تماضر، أخذت تعتني بشكلها وتهتم بتوزيع الأثاث داخل الشقة والحرص على إبراز ذوقها في العناية بالستائر واللوحات الفنية والصور المعلقة على الجدران، كما قامت بإبدال الكرسي الذي اعتدت التمدد عليه في غرفة الجلوس. وأنا استسلم لأناملها التي تتلمس ألماً مزمناً في كتفي الأيمن يشتد حتى يصل إلى أسفل ظهري، وقررت النوم في غرفة الضيوف حتى أجد الإفطار وكأس الحليب.

ذات ليلة وأنامل العاملة تمارس طقوسها في ملاحقة أوجاع ظهري، رن الهاتف كانت تماضر تتحدث عن مشروعها الحالم فأخذت أضحك، تجاوز التدليك الأماكن المعتادة تغلغل فسرى خدر في أعماقي فنملت أطرافي، لا أدري متى نمت وكيف تركت غرفة الجلوس، تلفت حولي.. غطيت جسدي العاري ، باب الغرفة مشرع ، صوت العاملة ينساب رخيماً بأغنية تسكن أعماقي ، وجدتها في المطبخ.. بادلتني تحية الصباح، تناولت كأس الحليب والإفطار، وصلت مكتبي متأخراً"[2]. وإن كنت ترغب في المزيد من صراحة الشقحاء فاقرأ له

(١) الغياب : ص ٣٣ ٤٢.
(٢) الغريب : ص ٣٩ . ...

قصص: "الذئبة"[1]، "رغبة"[2]و" الرابع[3] من قصص هذه المجموعة حيث تكتشف أن تجربته القصصية هنا في "الغياب" تحتاج إلى انتباهه تقييميه نقدية لما تشكله هذه المجموعة من انعطافة في كتابة القصة القصيرة في المملكة، خاصة وأنه كاتب يمتلك قدرة متميزة في اللغة- رغم بساطتها- وفي المفردة وبناء الجملة التي ارتقت بالحدث عنده وبشخوصه من الذين أعطى الكاتب نفسه لهم وعاش بداخلهم وكتب عنهم بهذا الصدق الواقعي، وبهذه الصراحة المفرطة التي كشف العنوان عنده عن الكثير منها.

-٢-

فالعنوان عند كاتبنا الشقحاء يمثل مرتكزاً دلاليا يدركه القارئ المتذوق للمفردة العربية، وذلك حينما يكتشف اكتنازه_ أي العنوان- للكثير من الإحالات والدلالات والرؤى التي تشكل في مجملها مرجعية إبداعية.. (ثقافية أولاً ، ونفسية، واجتماعية، وذاتية ، وسياسية) كلها مكثفة ومكتنزة في عنوان رئيس، والإيغال في فهم دلالاته يحتاج إلى أكثر من قراءة واعية!!

وهو ما يضع أيدينا على سر الإبداع السردي عند الشقحاء. والذي يكمن في لغته التي نجح إلى حد كبير في تطويع مفرداتها لتعبر عن فكرته، ونظرته الإبداعية ، ورؤاه الثقافية والنفسية والاجتماعية والذاتية والتأملية والسياسية من خلال سرده في هذه المجموعة بداية من عنوانها الأول/ الرئيس " الغياب" وهو عنوان لإحدى قصص هذه المجموعة وقد جعله عنواناً لها كلها. وهذا ديدن أكثر المبدعين في المعاصرين شعراً ونثراً.

---

(١) الغريب: ص ٤٣ .
(٢) نفسه : ص ٥١.
(٣) نفسه : ص٥٣

وعليه فإن العنوان الرئيس/ الغياب – انطلاقاً مما سبق – أراه ممثلاً للعتبات الأولى لنصوص المجموعة كما يتضح أكثر بعد قليل، وإن شئت قلت: إنه يمثل المرجعية التي تتضمن أنماطاً من الرموز والدلالات والإحالات المكتنزة في فحواها ، وتنطلق الرؤى الفردية منها، ومنها تعرف ويستدل عليها..

إذ إن العنوان كما تثبت المعاجم اللغوية هو: " ما يستدل به على غيره[1]. كما أن الفكر المعاصر حينما وقف أمامه كمصطلح جعل " العنونة جزءاً من الإبداع في النثر والشعر[2] بل إن النقد الحديث وجّه جزءاً من عنايته واهتمامه إلى هذه العنونة، حيث أكد أحد النقاد المعاصرين أن " العنوان لا يكتب اعتباطاً أو مصادفة. وإنما يختاره المبدع بعد تأمل لأعماق تجربته، بحيث يأتي العنوان دالاً بوضوح على ما يريد استثارته لدى القارئ[3]. لاسيما وأن العنوان " هو الذي يقدم للقارئ الرؤية الأولي لعالم النص وتجلياته، ويرمز إلى المفتاح المفضي إلى فهمه، وإدراك نفسية قائله[4].

---

(١) يراجع هنا : لسان العرب : لابن منظور ، ط دار المعارف – مصر ، والمعجم الوسيط : إبراهيم مصطفي وآخرون – نشر مجمع اللغة العربية – مصر سنة ١٩٨٠م ، والمعجم الوجيز : تصدير الدكتور إبراهيم مدكور مجمع اللغة العربية – مصر سنة ١٩٩٢م (عنون)

(٢) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي : د/ عبد الله بن سليم الرشيد ص ٨ ، ط أولى – مطابع الحميضي ، الناشر : نادي القصيم الأدبي – بريدة – السعودية سنة ١٤٢٩هـ سنة ٢٠٠٨.

(٣) جماليات القصيدة المعاصرة: د/ طه وادي ص ٩٨ ، ط ٣ ، دار المعارف سنة ١٩٩٤م بتصرف.

(٤) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي: د/ عبد الله بن سليم الرشيد، ص٦٠

وتوجهه الإبداعي وطبيعة هويته. ومن ثم يحدث التفاعل بينه وبين متلقيه ويصل إلى غايته، وتتم رسالته عبر فلسفة ذلك العنوان الذي ينبغي الإيمان بأهمية وضرورته للنص المتوهج الفاعل، مما يحمل قضية أو رسالة أو غاية. من هنا كان " العنوان الذي ينبثق من النص ويدل عليه، أو على بعض ما فيه، دون إغماض أو تعمية مطبقة، هو الأقدر على إحداث الأثر الفني ما توافرت فيه مظاهر الإبداع[1].

ولو اقتربنا قليلاً من معالم السرد القصصي في هذه المجموعة التي بين أيدينا لنستجلى حقيقة التنظير السابق لوجدنا أن هذه المجموعة "الغياب" لكاتبنا الشقحاء تثير-بداية من عنوانها - حديثا ذا شجون، أفرز لنا رؤيته للواقع الذي يحياه، وخبر أنساقه وقيمه جيداً ليقدم حالته النفسية عبر هذا الواقع، وليقدم دليلا إبداعيا يؤكد إنابة العنوان عن النص/ الحكاية وإن شئت الدقة قلت: إنابة العنوان عن النص/ الحكاية في كثير من الإحالات والدلالات خاصة إذا آمنا بأن النص لا يتكامل إلا إذا شكل عنونته. وأيقنا بأن "فاتحة النصوص لها دور كبير في فهم بنية النص الأدبي، وبأن العنوان هو أحد مفاتيح النص الرئيسية، فالكاتب يختار العنوان ليكون أول شيء يصادفه القارئ، وهي مصادفة ليست مجانية وإنما هي عملية تساهم في إنتاج دلالة النص[2]. حيث نرى " الغياب" الذي اختاره الشقحاء عنواناً لمجموعته التي معنا- يلعب دوراً رئيساً في كل ما يعانيه الكاتب، وكذلك مجتمعه العربي- القومي والمحلي على السواء. وذلك

---

(١) المرجع السابق : ص ١٨

(٢) الأربعاء : عدد ١٠ من محرم سنة ١٤٣٠هـ الموافق ٧ من يناير سنة ٢٠٠٩م ، ص ٨ ثقافية تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع عن مؤسسة المدينة.

من حياة ضبابية، وعابثة، كلها تمزق وفراق وشتات، ووجوم ، وحصار، وقهر وقتل، وتشريد، وضياع، وخيانة، وسجن، وأغلال ويتم ، ومسكنة.. وكثير مما نطالعه في وجوه أبطاله المغيبين بملامحهم المتباينة، بعيداً عن الحضور/ الفضيلة / الأخلاق / السعادة..

إذ يتبدى وهج " الغياب" أمام أعيننا ونحن نطالع حكيه الإنساني، حيث يمتد "الغياب" عبر الإطار السردي لقصص المجموعة ليمثل تكنيكاً فنياً في جوهر البناء الفني لأغلب قصصة التي كشفت عن بوح ذاتي، وهو الذي "لم يكتب قصصه إلا تنفيساً عن وجدانه وإمتاعاً لنفسه"[1] في أغلب كتاباته-، سرعان ما يتعدد ويتنوع ويتشكل هذا البوح الذاتي تشكيلاً فنياً في صورة مشاهد سردية لم تغفل المجتمع أو تبتعد عن قضاياه وهمومه، أو تنسلخ عن الحياة، وتنعزل عن الإنسانية في تشكيلها الفني على نحو ما نرى في قصته " العطر".

وقد ساعد كاتبنا على ذلك المنحى الفني مكانة القصة بين الأجناس الأدبية من حيث خضوعها للتقاليد الفنية والقواعد المذهبية. ذلك أنها تأتي "أقل الأجناس الأدبية خضوعاً لهذه التقاليد، وتلك القواعد المذهبية. وقد ساعدها ذلك على التعبير الحر عن مضامين الحياة والإنسان، وعن إيقاع عصرها بلا قصور"[2].وهو الإطار الفني الذي وضع فيه الشقحاء قصه، وانغمس في قوالبه، وأخلص له

---

(١) دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء : د/ طلعت صبح ص ٩، مرجع سبق ذكره.

(٢) عن اللغة والأدب والنقد .. رؤية تاريخية ... ورؤية فنية : د/ محمد أحمد العزب ص ١٧٧ ، ط ١ ، دار المعارف ، مصر . سنة ١٩٨٠م.

إخلاصاً لا حدود له لإثراء فن القصة القصيرة "التي أدرك أنها هي الوسيلة الوحيدة التي توافق طبعه ومزاجه .. فأصبحت شغله الشاغل، تسيطر عليه، مبتكراً مدارس لا يبدع إلا فيها ، ولا يرقب إلاها.. وهو حينما يتحدث عنها يتحدث حديث العاشق لها، المغرم بهواها، الذي يكن لها في قلبه كل حبه واحترامه، ويناضل ويكافح من أجل إعلاء صوتها، وتثبيت أقدامها في عالمه الثقافي المحيط به..يبتكر في موضوعاتها.. ويجدد في مضامينها، ويشكل في قوالبها. وقد لمس ذلك كثير من معاصريه، وبدا ذلك واضحاً فيما كتبته جريدة الشرق الأوسط في تعليقها على ظهور إحدى مجموعاته القصصية[1]، حيث تقول:"إنه استطاع أن يحقق تطويراً كبيراً في العرض القصصي وبأسلوب مميز[2]"

كشف عن فلسفته القصصية في اعتماده على الواقعية التحليلية ، وانطلاقه بقصه من الحياة السعودية التي كانت سر تعلق الكثير من القراء بفنه، ومستهدف النقاد لمهاجمته ونقده[3].

والقارئ لمجموعة الشقحاء التي معنا "الغياب" بعناوينها: " اللقاء" القنبرة ، الغياب، السجن ، العطر، أبو سعيد، الذئبة، العون، الخادمة ، رغبة ، الرابع، الرهان، اليماني ،" إيلاف"[4]، يرى موهبته

---

(١) مجموعته القصصية " الغريب" التي صدرت عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) جريدة الشرق الأوسط : العدد (٣٥٧١) الأربعاء : ١٩٨٨/٩/٧م.

(٣) جريدة صوت الأزهر : عدد الجمعة ١٩ من ربيع الثاني سنة ١٤٢٩هـ ٢٥ من إبريل سنة ٢٠٠٧م – حوار مع الناقد السعودي الدكتور / ظافر الشهري حول الرواية السعودية.

(٤) للمزيد حول عشق الشقحاء للقصة القصيرة وفلسفته الإبداعية فيها يراجع :
دراسة في القصة القصيرة عن محمد الشقحاء : د/ طلعت صبح من ص٣٤ ٣٨

القصصية وهي تتوهج عبر الأربع عشرة قصة بعناوينها ومضامينها معاً. ولا شك أن السر وراء هذا التوهج ينحصر في احتفائه بواقعه، وتعاطفه معه وإن صب عليه جام نقده بالتحليل والتشريح والمكاشفة كما رأينا في قصته " اللقاء"[1] وقصته الرمزية" القنبرة"[2] رغبة في إعادة صياغته/ بنائه / تشكيله من جديد عبر قيم فكرية وثقافية واجتماعية يؤمن بها الشقحاء ويتطلع إلى أن تسود مجتمعه الجديد الناهض المتقدم.

وأرى أن ما سبق لم يكن هو سر توهج موهبته الشقحاء القصصية وحسب، بل يأتي من هذا "الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي تشهده المملكة اليوم، وتلك النهضة في العديد من المجالات مما أتاح للأدباء مجالاً خصباً للإبداع، وازدهار التعليم وتعدد قنواته خاصة التعليم العالي الذي وصل إلى ما يقرب من ١٨ جامعة حكومية، فضلاً عن الجامعات والكليات الأهلية والمعاهد المتخصصة مما أدى إلى النهوض بالدراسات الإنسانية بشكل لافت للنظر، وإقامة المؤسسات الثقافية كالأندية الأدبية، وجمعيات الثقافة والفنون. وصدور العديد من الصحف والدوريات والمجلات.. الأمر الذي أتاح لكتاب الرواية والقصة التوهج ونشر أعمالهم الأدبية هنا وهناك. وتبني الأندية الأدبية والمؤسسات الثقافية الأخرى نشر الإبداع السردي والاهتمام بالرواد، واحتضان المواهب الروائية والقصصية ورصد الجوائز وإقامة مسابقات الإبداع الروائي والقصصي وانتشار المنتديات الأدبية الأهلية، وازدهار الدراسات الأكاديمية[3] التي ساهمت بشكل كبير في إعلاء ورفعة السرد القصصي في المملكة

---

(١) الغياب ص ٥

(٢) السابق ص ٩

(٣) جريدة صوت الأزهر : عدد الجمعة ١٩ من ربيع الآخر ، ١٤٢٩هـ ٢٥ من ابريل سنة ٢٠٠٧م – حوار مع الناقد السعودي الدكتور / ظافر الشهري حول الرواية السعودية.

حتى أصبحت القصة سيدة الألوان الأدبية كما يتردد، بل كانت سببا رئيساً في توهج المواهب القصصية التي اهتمت بسردها اهتماماً بالغاً في موضوعاته ومضامينه وقوالبه التي طرأ عليها الكثير من التجديد والتطوير كما رأينا عن كاتبنا الشقحاء لاسيما في مجموعته الأخيرة التي اتسمت بالنضج الفني في الطرح والمعالجة الفنية، والحضور الفكري والثقافي وإن أطلق عليها" الغياب"!.

-٣-

والشقحاء في هذا العمل أراه قد سلك منهجا سرديا كشف عن تميزه، وحضوره الفكري في معالجة قضايا أمته ومشكلاتها المعاصرة، محاولاً إصلاح العالم الخارجي من جوانب الشخصية السعودية في صراعها، ونزعاتها الخاصة انطلاقاً من عالمه الوجداني عبر إبداع قصصي وظفه توظيفاً فنياً ودلاليا وحياتياً ليكون رمزاً لميلاد جديد، وتكوين عصري يكون بديلاً عن العجز الخلقي الذي ظهر عليه بطله في قصته "رغبة"[١] ، وكذلك في قصته "الرابع"[٢].

حيث يسيطر على جل مجموعته "الغياب" موضوعا قصصيا- في الغالب- يملأ دنيا الفن ويستحوذ على رؤاه السردية ، وهو موضوع تخطى العالم الخارجي للسارد لينطلق من عوالمه الوجدانية التي تعتمد الاستبطان والنظر إلى الداخل منهجاً وطريقة في السرد.

والشقحاء بهذا المنهج السردي المتميز يثبت حقيقة أن عالم الإنسان الذي نحياه جميعاً في عالمنا البشري لا يقتصر على السمع والبصر واللمس والتذوق.. أي: ما نسمعه، ونراه ، ونحسه ونتذوقه. بل إن عالم الإنسان يتحرك في مجال أخصب وأكثر أهمية من هذا

---

(١) الغياب : ص ٥١

(٢) السابق : ص ٥٣.

المجال المحسوس، هذا المجال هو باطن النفس الإنسانية ودواخلها الكامنة وخواطرها المضطربة، ونوازعها ، وأمزجتها المتباينة التي كثيراً ما تتجسد في غموض الشخصية والصراع الأبدي بين واقعها ونوازعها الداخلية، وآمالها وطموحاتها المحبطة التي تدفعها دفعا للوقوع في أسرار الاستبطان، وفي قبضة الأحلام..

نرى ذلك المنهج الفني في سرده من خلال العديد من قصص مجموعته "الغياب" على نحو ما جاء في قصته "أبو سعيد" التي جاء فيها السرد محكوماً بالبوح الذاتي عبر إلحاح الـ "أنا" التي امتزجت بالجماعة/ المجتمع من حوله.. فيقول:-

" أحلم في يقظتي والمنام أني أمص الحليب من ثدي امرأة سترت وجهها بغطاء أسود شفاف، وأن أخرى كانت تأخذني إذا شبعت. تذكرت أخي الذي كان بكاؤه يملأ الدار وغرف مدرسة الأيتام وتسابقنا على الدروس والنجاح، وحرص العاملين في المدرسة على أن نشعر أننا في يد أمينة... [1]"

ولوحة سردية أخرى يعبر فيها عن نهجه القصصي قائلا " أتذكر أيام اهتمامي بالثقافة والعمل وزوجتي وأسرتي،وتخيلت ابني أسامة والآخر الذي لا أعرف اسمه الآن زارتني حوادث وصور في منامي .. [2] ". وغيابه في قصته الغياب"، والذي جعله يستبطن وجدانه علّه يصل إلى غاية، يقول فيها ": لا أدري متى كان مولدي ؟ وأين ؟ ولمن أنتمي؟[3]

وهو دائما يلح على ذاكرته يستبطن شعوره وذهنه.. كما نرى في قصته "اليماني" التي قام فيها بدور الراوي ولم يتدخل في

(١) الغياب : ص ٣٥.
(٢) الغياب : ص ٢٠ من قصته " السجن".
(٣) الغياب: ص ١٥. ..

السرد إلا في النهاية التي كشفت أنه كان طريح الفراش في مستشفي واستغرق في النوم فألحت الذاكرة عليه ليسرد لنا صورة حلمية يوظفها الشقحاء/ الراوي الذي يحلم بواقع جديد سواء في لحظات النوم أو اليقظة.. فيقول:-

" أسدلت جفني، استرجع خليطاً من الصور، جار مهووس بأسرته يعيد على مسامعنا في كل لقاء يتم لجيران المسجد مقطعاً من تاريخهم المجيد، التفت الجار الذي ألتقى به كل يوم في المسجد، بعد حديثه في المجلس الأسبوعي.

أنت يماني... !

نعم يماني من بريدة.. !

جدي من العقيلات .. رفض فتح أبواب السور بدون شروط، وتولى الشيخ الحمد التدريس في الجامع الكبير، كان يرصد أخبار الأسر، ولما ولى القضاء كان جدي قد غادر المدينة مخلفاً زوجاته الثلاث وابنه البكر ، الزوجات الثلاث لجأن لأسرهن في الجنوب، والابن البكر ترك زوجته ورحل. تولى الشيخ الحمد أمر المزارع والبيوت التي هاجر أهلها.. [1] الخ، مترجماً بهذا السرد الذي يستدعي فيه الماضي عن ذلك الاغتراب الزماني الذي يعانيه في عصره، وهو ما يكشف عن غربته المكانية في الوقت ذاته.

ويستمر الكاتب / السارد / الراوي في حكيه المحكم مستبطنا عوالم نفسه التي تتطلع - من وراء هذا الحكي- إلى رؤى ومضامين جديدة أشار إليها في هذا المشهد السردي الذي أنهى به قصة اليماني حيث يقول:

" فتحت عيني الممرضة. تقوم بجس نبضي، صوت ابني في الممر يناقش حالتي الصحية، قالت الممرضة:-

---

(١) الغياب : ص ٥٧.

- بابا.. أنت (كويس).
- سرت ابتسامة على وجهي، همست: حتى الآن الأمور طيبة[1].

فأنت تلاحظ الجملة السردية : بابا.. أنت كويس، تجدها نابضة بالبشري والطمأنينة. وهي في الوقت ذاته أراها قد ترجمت عن الخلاص الذي يسعى إليه الراوي / الكاتب حينما أسدل جفنه ليسترجع هذا الخليط السابق من الصور لجاره المهووس!!! اليمني!!!.

كما أن الابتسامة ميلاد جديد للواقع الذي يستحضر صورد الحياتية من الزمن الماضي، ووظفها توظيفاً فنياً في زمن الحضور ليعبر عن واقعه المتخيل في خطوط سرده الذي معنا.

وهنا نجد صدق ما ذكر "ريبو" في كتابة " التخيل الإبداعي[2]" على نحو ما يركزه " سارتر" في كتابه (التخيل) من أن الصورة التخيلية تجمع بين الموضوع الخارجي والداخلي بما في ذلك من: انتقاء ، وعلل شعورية ، وأسباب ذهنية لتصل إلى ثلاثة عوامل للارتباط الإبداعي ممثلة في:

العامل الذهني ،والعامل الشعوري ،والعامل اللاوعي . وهذا هو ما يحدد معنى الاستبطان في التجربة القصصية، وهو ما يقود خطوات كاتبها قيادةً فنيةً تحول دون انحدار التجربة القصصية في مهاوى الألغاز والغموض ، أو السطحية، أو السذاجة [3] . فيعبر

---

(١) الغياب : ص ٥٨.

(٢) ترجمة د/ نظمي لوقا ص ٣٣ ٣٤ ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٩٨٢م.

(٣) في القصة العربية: د/ يوسف حسن نوفل صـ ٥٨،٥٩ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية سنة ١٩٩٢ م بتصرف. ..

بحالة فنية واعية وبصورة مكثفة مركزة تحتفي بالخيال أيضا، وتخبر عن إبداع أعاد صياغة الواقع بهذه الصورة التي سرعان ما تأخذ بفكر المتلقي وذوقه نحو الرقى الإبداعي ، وتجعله يعايش شخوصها ويتعرف عليهم في حياتهم الخاصة والعامة . تلك الحياة التي التقى معها المتلقي أو القارئ وجدانياً وشعورياً وحياتياً بعد أن أحسها وتفاعل معها مما يثبت حقيقة أن القصة اليوم في بلادنا أصبحت خير متحدث رسمي عن الأمة العربية . ويؤكد من جانب أخر وظيفة الأديب الحقيقية والتي صادفها الشقحاء بأدبه إلى حد كبير .

" فوظيفة الأديب في سبرأغوار نفسه, وحل عقدها وهو يكتب . وبتعمق الأديب في نفسه يصبح أقرب إلى نفوس غيره . وبذلك يساهم في التقريب بين مشاعر البشر أكثر مما يمكن أن تفعله الخطب . من هنا كان القول : بأن الفنان لا يلتزم بفكرة أو برأي وإنما يلتزم بهذا النفاذ النفسي الذي يجد فيه غيره صحة لنفوسهم .. وذلك حين يؤدى الفنان تجربته الإبداعية فيلتقطها غيره ممن هم على نفس الموجة , ويكتشفون جانباً من نفوسهم بنوع من البداهة حين يعيشون مع الفنان تجربته[1] .

وقد أشرت إلى هذا فيما سبق , من أن الشقحاء قد عرف عنه أنه لم يكتب قصصه إلا من باب المؤانسة والإمتاع , أى تنفيسا عن كوامنه وإمتاعاً لذاته انطلاقاً من واقعه الذي يحياه ، وبيئته التي يعايشها إيماناً منه " بأن الفن كله يبدأ من الحياة , وهل يمكن أن يبدأ إلا منها [2] .

---

(١) الأدب في عالم متغير : د / شكري محمد عياد صـ ١٦٥ بتصرف ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(٢) المرجع السابق : صـ ١٠٠

-٤-

والمتتبع لتحولات الشخصية الرئيسة في مجموعة " الغياب " يدرك أن الشقحاء قد انطلق بفنه كلية من الحياة ويستبين له حرصه الشديد على تصوير الصراع المستمر للشخصية الإنسانية في واقعها فنراد يستعرض الشخصيات القصصية استعراضاً يكاد يحول القصة إلى سيرة حياة , تستعرض كل جوانب الشخصية , وتقدم كل المعلومات المتصلة بها , ولعل هذا هو السبب الذي دفع الكاتب إلى أن يتجه في قصه اتجاهات نفسية تُعنى أول ما تعنى باستعراض باطن الشخصية , وكل ما يتصل بميولها من استعدادات ونزعات[١]..وعبر هذا المسار في عمق الحياة وشخوصه في عوالمها المتباينة والمتفاوتة تبلورت شيئاً فشيئاً رؤية كاتبنا الشقحاء الخاصة للكون والوجود من حوله وفي توحده واتصهارد في تجاربه التي معنا بأبطاله في تجاربهم التي صورها تصويراً فنياً يحمل الكثير من الدلالات العديدة التي أبرزت حقيقة نقده الاجتماعي. وتنوع الصراع الدرامي في هذا العمل الفني الصادق , ورسمت عوالم شخصياته .

فبطله ..في قصتيه " السجن "[٢] و " العطر" [٣]:

بطل مثقف, صاحب رسالة , ورجل مبادئ .. منفتح على العديد من التجارب الإنسانية , يسعى دائما لخلق قيم باقية من خلال الكلمة / الرسالة , تبحث في الحقيقة عن مشاركة أصيلة في الحياة . لأنه رجل شريف وكريم , وعطوف , وسخى وذكى ويتصرف بلباقة

---

(١) للمزيد يراجع هنا : دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء : من صـ٦١ ١٣٢

(٢) الغياب : صـ ١٧

(٣) نفسه : صـ ٢٥

ونبل مع شخصيات لا يحكم تصرفها سوى الخداع والانحلال والتصنع , والكيد , والظلم , ومع كل هذا لا يلقى جائزة إنسانية إلا أن يقبض عليه ليسجن في القصتين .

ربما كان السجن في قصته " العطر" من أجل رسالته / الكلمة مباشرة , أما في الثانية فتشتد فيها حدة الصراع الدرامي ما بين عتبات القصة في بدايتها مروراً بسجنه ثم هذه الانفراجة في نهايتها كما سيأتي . ففي هذه القصة " السجن " يظلم البطل ظلماً بيناً دون ذنب قد اقترفه إلا أنه قدم المعروف لأحد المثقفين المزيفين أو الوصوليين , بأن اصطحبه بسيارته إلى الفندق عقب ختام إحدى الليالي الثقافية التي تعشقها فارسنا النبيل. وكان ضحيته بعد أن ترك حقيبة له في سيارته زجت به في غياهب السجن مدة عشر سنوات . فصل في مطلعها من وظيفته كمعلم للغة الانجليزية , ثم أتاه خبر وفاة أمه , وبعده طلبت زوجته الطلاق بعد وضعها الابن الثاني له , ثم حَرم أبوه على أخواته ذكر اسمه في الدار . وكانت الفاجعة بزواج زوجه من شقيقه الأكبر. واختفاء أخبار أسرته .

ويستمر كاتبنا في إدارة حلبة الصراع الدائم التي يمور فيها بطله .. حيث يخرج من السجن في نهاية العام الثامن لحسن أخلاقه ورجولته في محبسه , لتبدأ مرحلة جديدة في صراعه مع الحياة من أجل الحياة / الوجود . فيبحث عن أسرته بعد زواجه من الزوجة الثانية لإمام المسجد الضرير _الذي ساعده في الارتباط بها وكانت نعم الزوج _ والتي لم تنجب بعد من الشيخ . وسرعان مايتقابل مع أسرته ولكن في ظروف ميلودرامية , حيث تجتمع الفرحة .. فرحة اللقاء مع ألم الفراق ..فراق الأب والذي تعرف عليه مصادفة وهو يفتش عنه وباقي الأسرة من خلال مجلس العزاء الذي سرعان ماعلم أنه لوالده . فيستبد الحزن والألم به مرة ثانية.

ولأنه البطل المطارد .. بالأحزان والمحنْ والقهر إذ به يلتقي مع ماضيه في الحاضر وجها لوجه / إنه الكاتب.الذي بسببه زج في السجن / إنه الصوت الزائف الحاضر لكثير من مثقفينا , وإن شئت الدقة في التعبير قلت : إنه الصوت الزائف الحاضر لكثير من مدعينا : إنها المواجهة الحقيقية التي لابد أن تسود بين الصوتين .. الصوت الزائف من أصوات ثقافية مزيفة , انتشرت هنا وهناك ونسبت إلينا وآأسفاه !! في المقابل .. وفي المواجهة يأتي الفارس النبيل / البطل المقاوم , بقيمه وتجاربه الإنسانية , ذلكم الصوت الإنساني الصادق .. القادم ولوفي ثوب الصمت .. صمت حروف هذا السرد الحي المتوهج الذي أعلن عن انتصار هذا البطل وتقدمه أمام تراجع صوت الزيف عند اللقاء الذي جمعهما في دعوة عشاء يقول الكاتب / الراوي في ختام قصته " السجن" :

"عدت لعملي وعادت زوجتى لعملها .." الشرطي –جاره – دعاني وزوجتي لعشاء خاص .. تحدثت عن قصتي مع السجن وحياة أسرتي . الكاتب حدق في وهو يرتعش , خرج دون أن ينبس بكلمة , الإمام الضرير أخذ يعلق على تجربتى , بعض الجيران الذين كنت ألتقى بهم في المسجد حمدوا صبري.

بعد انتهاء العشاء .. أخذت زوجتي إلى البحر .. جلسنا على أحد الكراسى نتابع زبد الموج عبر ما يصل من ضوء الأعمدة الممتدة على طول (الكورنيش)..

من خلال الصمت تخللت أناملها أصابعي .. شعرت بالحياة تسرى في داخلى وينبثق عبر البحر نور يرتفع إلى السماء . من خلاله أخذت أتأمل وجه زوجتى .. شئ فيها يشرق , وقطعت تأملي بالتفاتها نحوى وهى تضحك [1] .

---

(١) مجموعة الغياب : صـ ٢٤ .

ولعل السرد السابق يؤكد حقيقة شخصية الراوي / السارد / البطل المقاوم , ذلكم الصوت الإنساني الذي يسجن ويظلم ويطارد ويشرد , ويتألم ويتأزم من أجل مشاركة واعية أصيلة في الحياة من حوله عبر مثل عليا وقيم اجتماعية راسخة تضرب بجذورها في التراث الإسلامي الخالد من كتاب وسنة ويؤمن بها والنصر الذي يكون بإتباعها . باحثاً عبر هذا التنوع في توظيفه الفني بدلالاته المتعددة عن قيم جديدة لمجتمعه الذي لجأ إلى تعريته بوضوح في صورة هذا الكاتب الهالوكى المزيف الذي رمز له بزبد الموج الذي سرعان ما يزول وينتهي , وتطوى صفحته دون رجعة على الإطلاق , بينما الذي يبقى هو ما ينفع الناس بما يقدم من قيم ومثل وروى تنهض بالإنسان وتغرس في نفسه الحب والخير والعدل والنور .. إنه صوت الفارس النبيل(الراوي / السارد) الذي آمن بأن النصر مع الصبر وقد كان .." عدت لعملي , وعادت زوجتي لعملها .."

وهذا الهالوكى هو الذي انتهى عندما واجه الحق / الراوي البطل الصامد / صوت الكاتب.. حدق فيه وهو يرتعش . وخرج من حياته ودنياه دون أن ينبس بكلمة ..

وصدق الله العظيم إذ يقول :"فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ..(١) ".

تابع الراوي هذا التقهقر لذلك الظلامى , وتابعنا معه ذلك السقوط لهذا الكاتب عبر خيط درامي واحد أخرج المشاهد في صورة فنية واحدة جاءت على لحن واحد لصوت واحد هو صوت الحق / النصر . وهو ما رمز له الكاتب بالدلالة الفنية لصوت الإمام الضرير الذي حمد لكاتبنا / الراوي صبره على السجن وطلاقه من زوجته الأولى , وفرقته عن أهله وأبنائه وفصله من العمل .. مستفيداً من

---

(١) سورة الرعد : من الآية (١٧) .

السياق القرآني في قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١) ، ثم العودة إلى الحياة/النور, ذلك الإشراق الذي تجسد في الزوجة الصالحة بوجهها المشرق الوضاء .. القادم هدية من إمام المسجد / رمز الضياء والملاذ ،والهدى والنور, والذي يحكى فنياً ذلك الفوز المبين الذي حالف هذا الفارس الصامد ضد القهر والظلم في صورة هذا الوجه الملائكي الذي راح يتأمله ويتحسس فيه الإشراق / الميلاد الجديد . وهو بلا شك قد انطلق بسرده هنا من آية عظيمة من آيات الله وجد فيها والتأمل في لآلائه السلوى والنجوى والسكينة والطمأنينة .. وجد كل ذلك في البحر.. الذي قال الله فيه ..﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) ﴾ (٢) .

وبعيداً عن التراث الذي احتفي به الشقحاء كثيراً هنا في قصته " السجن " ومن قبل في قصته " القنبرة" وقصة " إيلاف" من بعد, لإيمانه الشديد بالانطلاق منه, نقول: إن البطل في أغلب قصص هذه المجموعة لاسيما في قصتيه " السجن , العطر " عربي صاحب نخوة ورسالة , تجرى في عروقه الرجولة العربية , العزة والإباء , والصبر والجلد من صفاته , وعلى الرغم من كل ذلك فهو :

*مأساوي : مطارد .. يسجن ظلماً , ويصبر على محنة السجن , ويكبل بالأغلال دون الرجوع عن رسالته الإصلاحية , أو التخلي عن هدفه .

---

(١) سورة الشورى : الآية (٤٣) .
(٢) سورة النحل : آية (١٤) .

•وهو رومانسي : يخرج من السجن مقهوراً ، حزيناً ، مهموما يبكى وينعى ، ويعانى الحرمان ويتأسى ، ويذهب إلى البحر ويتأمله . ويتفاعل مع الفرد ويلتصق به ، ويعبر عن ذاته .

وهو رومانتيكي : يحب مجتمعه ويحبه قومه وهو الخارج من السجن ، ويحب ويتزوج ، ويتعشق الزوجة التي وجد فيها سيلادا جديداً له .

- ٥ -

ومما يحمد لكاتبنا الشقحاء أنه يعتمد في عملية القص في تلك المجموعة على طبيعة الحكي، وشفاهية اللغة، أعني بذلك الحكي بلغة الناس المجتمعية المتداولة في الحياة اليومية بوضوحها- وإن جاء هذا الوضوح على حساب التكثيف المطلوب في القصة القصيرة- بعد أن يعطيها شكلها اللغوي الفصيح غالباً والذي نستشهد له بهذا الجزء السردي من قصته "أبو سعيد" والذي كشف عن طبيعة لغته الشاعرة المكتنزة والتي جاءت عبر جمل قصيرة لتبين مواقفه أو تحلل نفس الشخصية فجاءت ناقلة لطاقات الشقحاء الفنية في عالم السرد الخاص به والذي وفق بهذه اللغة وعبر فصاحتها وشاعريتها وملائمتها لمواقفه .. أن يصل إلى قلب قارئه ووجدانه . وكانت وسيلته المقدمة إلى عقل المتلقى والدارس لأدبه على السواء.. فيقول من قصته "أبو سعيد" وهو في جولة تفقديه على أحد المواقع الحدودية في وطنه بعد أن تعطلت به السيارة:-

" البرد القارس يلدغ جسمي، والهواء الذي يحمل ذرات الرمل يصفع سيارة الجيب، ومسام الغطاء تصدر أصواتاً متناغمة. لا أدري كيف غفوت.

صحوت على ثغاء أغنام وهرج أشخاص لا أعرفهم، السائق ميت أتلفت حولي.. الأشخاص والماشية يبتعدون، وقد خلت العربة من كل شيء، نقلت السائق إلى صحن السيارة وأدرت المحرك...[1]".

فالشقحاء كما نرى بتلقائيته واضح في سرده لاعتماده على طبيعة الحكى، وشفاهية اللغة، كما ذكرنا وهو ما يَعنى أنه يحكي بلسان الأشخاص من حوله ولغتهم اليومية في معاملاتهم الخاصة والعامة مع الآخرين، وعلاقاتهم بالمجتمع بعد أن يزينها بزينتها الحقيقية بأن يعطي هذه اللغة شكلها اللغوي الفصيح. " وتأتي الشفاهية هنا في الابتعاد عن الترتيب المنطقي للغة، أعني أن التقديم والتأخير في أركان الجملة يبعدها عن نمطية التكوين ومنطقية الترتيب. وهو بذلك يحكي القصة ولا يكتبها.. هو يقلد شفاهية اللغة الفصيحة التي لا بد أن تبعد عن صوت المؤلف وتترك له – فقط – لغة السرد.

وحينما تصبح الكتابة- على هذا النحو- عملاً شفاهيا تلقائيا يتحول الحوار إلى سياق إنساني حي يحمل طزاجة الحوار وحيوية المعجم وعصريته، بل يشير إلى الشرائح الاجتماعية الخاصة التي تتميز في لغتها. ومن ثم يتحول القاص، من كاتب فني إلى (راو) يروي من خارج العمل، لا يتدخل في لغة شخصياته، كما تتحول شخصياته من شخوص إلى أناس حقيقيين. فيحتفظ بدفء الحوار، وجدة المعجم وتميزه وعمق الشخصية، بصرف النظر عن الحدث أو الموضوع لأنه وسيلة اختبار الشخصية وبيان زمانها ومكانها وتركيبها[2] ..

---

(١) الغياب : ص ٣٤.

(١) رائحة الزهور البرية : مجموعة قصصية لـ : صالح الصياد : دراسة د/ مدحت الجيار ، ص ٨٩ بتصرف

ومثل هذا النوع من الكتابة السردية نراها بوضوح وتلقائية وإنسانية في قصتيه "اللقاء" و "القنبرة" التي استأنس في سردها بمشاهد من التراث الذي وعاه جيداً وعبر بمشاهد منه عن رؤى ومشاهد عصرية. حيث نراه يقيم موضوعها على مشاهد من رسالة (تداعي الحيوان على الإنسان) لإخوان الصفا، فيتمثل بابن عرس[1] والتنين ويقيم حواره الداخلي القابع في نفس البطل/ الراوي / الكاتب ليعبر بها عن دلالات فنية معاصرة يقترب في سردها من صيغة "المونولوج الداخلي" الذي تتداعى فيه المكاشفات والتأملات!! لكل مرفوض ينكره في واقعه المعيش ورمز له وأسقط من خلاله فنيا على كل ما أراد النيل منه والتعريض بشخصه.

وفي كثير من القصص يتدخل الكاتب الشقحاء تدخلا ملحوظا. فنراه يتحدث بصوت الجمع قليلاً، وبالصوت المفرد أحياناً كثيرة في محاولة منه لبث التلقائية في السرد وليعطي انطباعاً للمتلقي بأن (الراوي – القاص) هو من هذه الجماعة التي يتحدث بلسانها . ويعاني ويتألم وينتقد ويثور ويعترض ويُسجن ويشرد ويرفض من أجلها.

إذ نراه يتحدث بصيغة الجمع والصوت هو صوت السرد الخاص بالكاتب في قوله في قصة "رغبة" :

" جاءت الوظيفة خارج مدينتنا في قرية تابعة لمدينة أخرى.. اتفقنا على السكنى معاً. في مساء يوم التسوق، شيء شدنا في سائق سيارة الأجرة الذي أوصلنا إلى المنزل. طلبت منه التي ساعدته على ترتيب مشترياتنا في الممر أن يشاركنا العشاء[2] .

---

(٢) وابن عرس: دويبه كألفارة تفتك بالدجاج ونحوه .
(١) الغياب : ص ٥١

كما تبدو تلقائية الحكي في تدخله في السرد (بضمير الغائب)، ففي قصته "الخادمة" يحكي من البداية للنهاية عن البطلة هذه الخادمة المسكينة التي جاءت إلى هنا تتلمس سعة في الرزق، والذي أوقفه كاتبنا على مدى قبول الصغار وتعلقهم بها، وذلك دون مشاركة قائلا: " سرى قلق وحزن أسود في أعماقهن وهن يتناثرن في مدينة جديدة للعمل، كان حزنها أشد وطأة من معاملة أحد رجال الشرطة.وهو يقارن بينها وبين صورتها في الجواز مركزاً، نظرة عداء دفعتها للانزواء خلف أخرى.. جاء سيدها.. (١)".

وكاتبنا الإنسان في سرده كما أكد قصه قد كشف عن إنسانيته في هذا الحكى وتعاطفه مع هذه الطبقة مكتفياً بطرح الموضوع عبر السرد فقط دون أن يتعمق في قضية الخادمات الأجنبيات في الوطن العربي، وخطرهن على مستقبل الشخصية العربية بتشكيل وجدان الطفل العربي على أسس وطرق تتعارض مع أطر التربية في عالمنا العربي!!

لكنة يتدخل كثيراً في باقي سرده في هذه المجموعة، وهو تدخل يكشف عن رغبة الشقحاء في التواجد داخل النص، وبطريقة واضحة جلية تفصح عن مشاركته حيناً، كما تكشف عن مشاهدته وتوصيفه في بقية الأحيان من خلال تعليقات وتفسيرات تجعل القارئ أو المتلقي يشعر بتواجد الكاتب شخصياً فجأة بين ثنايا الجمل السردية والنص العام.. ويتكرر هذا في قصته "القنبرة" فبعد قول التنين وانتهاء كلامه نجد السارد الكاتب يطفو فجأة فوق سطح النص ليقول لنا سأظل موجوداً في النص.. يقول على سبيل المثال:

"قال التنين : (ولكن أرى السلحفاة تصلح لهذا الأمر، لأنها تصبر على الماء وترعى في البر وتعيش في البحر، وتتنفس في

(١) الغياب : ص ٤٩

الهواء). انتهى حديث التنين.. لنقرأ فجأة عقبه سرد التنين.. سرد الشقحاء معلقاً:

كان طلاقها من زوجها الأول مصدر خلاف مع والدها الذي رفض كل الوساطات فتركت ولديها عند أسرة زوجها[1]". وهي ملاحظة لها مكانتها هنا تكشف عن رغبة الشقحاء الملحة في ضرورة التواجد داخل النص.. كاتباً للقص ، مشاركاً بالسرد، ومفعلا التكنيك البنائي بالحوار والتعليق والتدليل والإسقاط الفني على واقعه ليقول في كل لحظة(أنا موجود). موجود بالتجارب الإنسانية التي أعايشها، وبموضوعاتي الشبيهة بحياتي، وبشخصياتي وحوادث قصصي التي لا تنكرون صلتي بها ، وحتى لمن لا يعرفني أنا موجود في اللغة سرداً وحواراً وأن خفت حواره في هذه المجموعة كثيرا وتوارى أمام سرده الذي انتمى إليه بصورة جلية وارتضاد أن يكون صورته الحقيقية أمام عشاق الإبداع العربي في المملكة وخارجها.

وهو ما أعلنه صراحة في قصه " الغياب" حيث يواصل فيها أيضا تدخله المستمر في لحمة السرد، معلناً تواجده الفعلي داخل النص، ومؤكداً في الوقت نفسه أنه أحد شخصياته الفنية، بل أبرز شخصياته.. يقول من"الغياب":

" الشيء الذي افتقدته أوراق القصيدة... "[2]

والفقد هنا دلالة رمزية تومئ إلى غياب القصيدة العربية.. ذلك الإرث الذي يعاني اليوم عقوقا من الداني والقاصي. أو بالأحرى.. تومئ هذه الدلالة الرمزية إلى ثنائية سردية جمعت بين همين جاثمين على صدر الأمة العربية في حاضرها:

---

(١) الغياب : ص ٩.

(١) الغياب : ص ١٦.

• الأول : يتمثل في أفول نجم القصيدة العربية وتراجعها عن الريادة برسالتها الإنسانية الحضارية.

• والثاني : يتمركز في تحول المبدع العربي نحو وجهة يتوهم فيها التطور والتقدم، بينما الحقيقة تثبت أنه ضل الرؤى في معامي الأرض بالسفر إلى المجهول/ الآخر الذي يتربص بنا فكانت النتيجة هي تخبط ، وتوقف ، وغياب المثقف العربي المقهور الذي أصيب بالشلل الفكري.

هذا المشهد المأساوي يصوره كاتبنا الشقحاء في هذه الصورة السردية التي تبوح بالكثير من الألم والحسرة على ما آلت إليه القصيدة العربية ومبدعها وغيابهما معاً. وهو الكاتب والمبدع والناقد المهموم بقضايا أمته، وهموم مثقفيها ومبدعيها مما يحمد لهذا الكاتب الذي انطلق في كل حياته الإبداعية من الواقع ومشكلاته، وانحيازه لضحايا الواقع الاجتماعي.. الواقع الثقافي، الواقع الإبداعي.. يقول الكاتب/ السارد:

" الشيء الذي افتقدته أوراق القصيدة.خرجت من المكتب .. عدوت إلى الدار.. قلبت المخدات وكتبي المتناثرة على الأرض/ تذكرت النادي الأدبي والحفل ، غادرت الدار.. لم أهتم بمنبهات سيارات الأجرة وإشارات قائدي بعض السيارات التي تشاركني الطريق/ باب النادي مغلق ، اتجهت إلى سيارتي.. فتحت بابها.. جلست خلف المقود، أدرت المحرك وأخذت أمزق أوراقاً وجدتها على المقعد تحمل نصاً شعرياً، نثرت القصاصات على رصيف وأسفلت الشارع، قادتني السيارة إلى خارج المدينة ، شعرت بالعطش والجوع، توقفت بجوار مقهى كاب متهالك سبقني إلى احتلال بعض زواياه مسافرون ران عليه الصمت[1]".

---

(١) مجموعة الغياب : ص ١٦.

وكاتبنا الشقحاء وهو يمتح هنا من أعماق الواقع / المجتمع إنما يكشف لنا حقيقة بإبداعه عن ذلك القهر الاجتماعي ..عن القهر الثقافي ..عن القهر الفكري..عن القهر السلطوى ..عن القهر بكل أشكاله حتى نقهره أو على الأقل " نفضحه ". نستشعر ذلك من ملامح العديد من شخصياته – بعوالمها المختلفة – الواقعة تحت ظل القهر من الأقوى , أو الأغنى وهى تحاول الصبر دائماً , ولا تثور إلا بالكلمة, والسرد الفني الذي تتحايل به على الحياة .

وذلك مثلما فعل في رصده لهذه البيئة الأرستقراطية السلطوية في قصته " اللقاء " بغية قهر هذا الواقع السلطوى لكنه لم يستطع مواجهته إلا بهذا السرد الذي كشف ضعفه وتراجعه أمام الأقوى / الأغنى / الأعتى , وكانت النتيجة أن " فقد التركيز .لم يجد المقعد ,كما فقد الطريق [١].." حينما اقترب من صاحب القصر واختلف صورة المشاهدة عنده على خلاف ما كان يشاهده فيها كل مساء على شاشة التلفاز !!. ومثل هذا القهر تطالعه في قصتيه " العطر " , " السجن " والذي ثار من خلال سردهما على القهر الثقافي والقهر الفكري .

وهو أحياناً يغلب عليه الجانب الإنساني ويتحلى به كثيرا في سرده تعاطفاً مع الضعفاء والتعساء من المقهورين , ومن الذين أعرضت الحياة الهانئة عنهم , فحرمتهم السعادة , بل وحرمتهم الستر في مجتمعهم الذي غض الطرف عن محنتهم في الحياة . كما في قصته " الخادمة " [٢] التي ركز فيها على الاستهلال لإبراز صراعه مع ذلك النوع من القهر.." سرى قلق وحزن أسود في

---

(١) الغياب : صـ ٧ .
(٢) السابق : صـ ٤٩ .

أعماقهن وهن يتناثرن في مدينة جديدة للعمل , كان حزنها أشد وطأة من معاملة أحد رجال الشرطة , وهو يقارن بينها وبين صورتها في الجواز[1] مركزاً ..نظرة عداء , دفعتها للانزواء خلف أخرى .. .

ويستمر كاتبنا الشقحاء الإنسان في صراعه عبر سرده الذي أراد به تفعيل دولة العدل الاجتماعي في واقعه , ذلك الواقع الذي مازال يجول بنا في عوالمه المتغيرة التي تؤرقها صنوف القهر . حيث يستدعى مفاهيم إنسانية -وإن لم يصرح بها -وقيما اجتماعية ودينية لها تأثيرها الفاعل في تعرية جسد ذلك القهر الاجتماعى وكشف بؤره. ومن جانب آخر توجيه سلوكيات أبناء مجتمعه بشقيها الأسرى والمجتمعي نحو التمسك بهذه المفاهيم , وتلك القيم المتعلقة بالمروءة والشجاعة والنخوة والشهامة وإقرار العدل الاجتماعي فيما بينهم . إضافة إلى ذلك إبراز بساطة العيش وكيفية التواصل الحياتي من خلال التكافل الأسرى والمجتمعي بأشكاله المتعددة ومفاهيمه الواسعة, سواء في إطار العرف والعادة أو الشرع والدين المبنى على الصدق والطيبة بين أهالي ذلك الزمان ,وإلا تعددت مأساة هذا البطل المقهور الذي راح ضحية دَيْنَه بعد أن رهن داره هي الأخرى بسبب المرض . وذلك بعد أن فقد العون والرعاية الصحية – وإن لم يفقد هذا السرد الفني من الكاتب الذي لم يملك سوى الثورة بالكلمة في وجه هذا القهر الاجتماعي الذي أطاح ببطله – على نحو ما جاء في قصة " العون " [2] التي يقول فيها :

"كان على أن أركض حتى لا يتوقف نبض الحياة في شرايينهم , وفي الصباح أسعى إلى زرع بسمة فرح داخل أسرتي الصغيرة " .

---

(١) وثيقة السفر .

(٢) الغياب : صـ ٤٧

قالت شقيقتي: إن ابن خالتي بثوبه القصير وذقنه المشذبة , وعباءته الذهبية الفاخرة , حصل على سيارة فارعة , ونصف مليون ريال عوناً لتأثيث منزل ابنه المتزوج حديثاً .

قال ابني المريض ونحن في طريقنا للدار , التي مازالت مرهونة في دين بسبب حالته الصحية : اليوم سوف تمطر السماء ..حدقت فيه مشدوها ولم أعلق , في التاسعة ليلاً وهو يقرأ أخبار ناديه الرياضي في صحيفة صفراء لفظ أنفاسه , بينما كانت السماء تمطر في الخارج " .

والشقحاء في هذه القصة لجأ إلى الجانب السيكلوجى في سرد موضوعها المأساوي –بعد أن حدد الزمان والمكان ووقف على حدود الشخصية متأملاً راصداً لأبعادها – حيث يتضح لنا مدى المفارقة الدنيوية الظالمة حيث يتحصل على العون من لا يستحقه ومن لا حاجة له , ويأتي في المقابل صورة البسطاء المقهورين من الذين يرحلون عن دنيانا , ولا يملكون أكفانهم !! يرحلون عن دنيا لا يرى الإنسان فيها سوى " الأنا " ..

والقارئ لهذه القصة يلحظ استخدام الكاتب في السرد هنا الشخص الثالث , وإن كان موقفه أقرب إلى الذاتية . أي أنه رغم تعبيره عن شخص آخر مفارق له إلا أن الشخصين " البطل والكاتب " يكادان يتحدثان بلسان واحد ويصدران عن شعور واحد , ويعبران عن شخصية واحدة هي شخصية المؤلف / الكاتب / الراوي / الإنسان / الثائر محمد منصور الشقحاء الذي تألم كثيراً من أجل البسطاء , ونعى كثيراً في أدبه مثل ذلك القهر الاجتماعي الذي تجسد في هذه القصة , وجاء مرافقاً لذلك القهر الثقافي الذي رمز له بالصحيفة الصفراء !! يواجه كل هذا بسرد له قيمته السامية وله تأثيره القوى على نفس المتلقي المتذوق للسرد ذى الرؤى الإيمانية

العميقة , مما ضمنه الشقحاء نهاية قصته السابقة " العون " [لفظ أنفاسه بينما كانت السماء تمطر في الخارج] ..

فقد وفق الكاتب وهو يعانى مع بطله ذلك الظلم الاجتماعي وضياع التكافل الأسرى والمجمتعى بين بنى جلدته في أن يصل إلى مواجهة سردية حقيقية , حيث نراه يلجأ إلى السماء موئل الرزق والعون الحقيقي للمستضعفين والمقهورين في الأرض .. ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(١). ويستغرق في تجربته أكثر من ذلك ليشبع ظمأه إلى العدل الاجتماعي, أو ليشبع حاجته لقهر ما يعانيه داخلياً , وكأنما يقدم لنا حالته النفسية, فتنساب نفسه لتظفر بالحياة / الخير / المطر حيث الانفراج الذى يتطلع إليه الكاتب ليحيى به مواتا ..﴿ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [٢] .

ولو تركنا أنفسنا تنساب مع خاتمة القصة وجوها لأدركنا الكثير والكثير من توفيق الكاتب وبراعته في تواصله مع المجتمع الذى خرج من رحمه وأحس به وعاش قضاياه وهمومه . وهو ما يحمد للكاتب حيث أعطى الواقع اهتماماً بالغاً , فجعله شرائح حية يحدث تقابلها مع أطياف الغرائب القهرية صدمة أو دهشة لدى المتلقى . سرعان ما تكون هزات ارتدادية تضع الأصابع على بؤر مشتعلة في المكان / الواقع / المجتمع / البيئة التي تجاوب معها الكاتب / السارد . وهى حقيقة تقف في وجه الناقد [٣]الذي تجنى على كاتبنا في وصفه بأنه يحلق بقصته بعيداً عن بيئته التى نبت فيها

---

(١) سورة الذاريات : آية (٢٢) .
(٢) سورة ق : آية (١١) .
(٣) الدكتور محمد بن سعد بن محمد بن حسين . أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية _ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية _ بالرياض .

استرضاءً لبعض قرائه خارج حدود مجتمعه ..فيقول : "وكل مانتمناه للمؤلف أن ينجو بقلمه مستقبلاً عما يخرج عمله من إطار البيئة التي نبت فيها عمله وألا يدفعه تلمس رضاء بعض القارئين إلى النزوح بقلمه خارج الحدود , وبخاصة أن في أعماله ما يثبت قدرته الحسنة على معالجة مشكلات مجتمعه [1] " .

وهذا رأى مغلوط جانب الصواب كثيراً ولم أنتبه إليه وأعرد اهتماماً , فهو يدخل في باب ما يعرف في الصفحات الأدبية بصحفنا العربية " بالأكلشيهات النقدية إن جاز التعبير . لكن الذى أثار حفيظتي للوقوف أمام هذا الرأي هو موافقة أستاذنا الدكتور طلعت صبح عليه حينما ذكره في كتابه [2]الذي كتبه عن هذا الناقد دون تدخل من قريب أو من بعيد , أو مناقشة أو حتى إبداء رأى بالموافقة عليه , وكأنه أقر هذا الرأي في حق سرد الشقحاء القصصي وهو الذي قال عنه في كتابه " دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء " : " إن الكاتب يستمد معظم بواكير قصصه من الحياة السعودية, فهو ينبع من صميم هذه الحياة ويصدر عنها . وهذه الحياة دائماً تكون وراء أشخاص قصصه , وهى بعينها التى تجعله يعنى كثير العناية بالوصف المكاني[3]". ولا أراني معارضا لهذا او ذاك لكنها الحقيقة والعلمية الموضوعية وشهادة حق في أدب رجل

---

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات : د / محمد بن سعد بن حسين جـ٢ صـ ١٢٨ ط٥ مطابع الفرزدق – الرياض سنة ١٤١١هـ سنة ١٩٩٠ مـ .

(٢) ابن حسين بين التراث والمعاصرة : د / طلعت صبح السيد صـ ٥٠٧ ط أولى الحميضى – الناشر دارعبد الغزيز ال حسين للنشر والتوزيع – الرياض – سنة ١٤٢٢ هـ سنة ٢٠٠١ مـ .

(٣) دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء : د / طلعت صبح السيد صـ ١٠٣ .

عايشته عن قرب وهو مهموم بوطنه , مسكون بوجعه , مشغول بتراثه ومجده في حاضره , حامل لراية الإصلاح الثقافي في عصره .

ولكن يكفيني أن أذكر هذين الرأيين لناقد سعودي واع ومدقق أنصف الرجل وأنزله منزلته وهو يتحدث بالتفصيل عن اتجاهات القصة القصيرة في المملكة فيقول : " محمد منصور الشقحاء من أشهر كتاب القصة في بلادنا , ومن أولئك الذين أخلصوا لهذا الفن وواصل نتاجه فيها , وهو أكثر من اطلعت على نتاجهم , ومازال يثرى المكتبة القصصية ... وهو يستقى أحداثه من منهل الوطن الاجتماعي الواقعي ويتفاعل مع أحداث العالم الإسلامي أو العربي لاسيما القضية الفلسطينية , وهو يمتلك أسلوباً قديراً في تراكيبه وصياغته [1] " . وفي موضع آخر يقول : " إن محمداً الشقحاء قد أفاض في تصوير البيئة لمنطقة الطائف في مجموعاته : البحث عن ابتسامة , وحكاية حب ساذجة , الانحدار، الغريب [2] " وهى المجموعات التي صدرت للكاتب آنذاك وتوافر على دراستها هذا الناقد في عام ١٤١٤هـ تأريخ مقدمة كتابه وكلها آراء تؤكد أن الشقحاء كاتب انطلق في قصه على بيئته / الواقع / المجتمع / المكان . المكان الذي استوعبه بكل مايعج به , وما يكتنفه من عادات وتقاليد , ورسوم وآثار , وطبيعة وجمال . لاسيما "الطائف". التي شهدت تألقه الإبداعي واحتلت مكانة في قصه.

والأديب المبدع يفتنه السحر , وتغويه الطاقة التي يبعثها في جوانحه المكان. و" الطائف " توفرت فيها كل عناصر الجمال والسحر

---

(١) الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية : د / مسعد بن عيد العطوى، صـ ١٠٤, ١٠٥ ط أولى – نادى القصيم سنة ١٤١٥هـ .

(٢) المرجع السابق : صـ ٦٠ .

والطاقة بدءاً بتاريخها العبق وتراثها المجيد ، فليس بغريب أن يجد أصحاب الكلمة فيها ضالتهم بما امتلكته من تاريخ حافل , وحاضر مجيد ,وطبيعة خلابة وآثار ناطقة بالعظمة والشموخ .. بكل ذلك نجحت في امتلاك مشاعر الكتاب والأدباء على حد سواء , وعواطف الكثير من المبدعين من أهل , وممن مروا بها , أو أقاموا فيها، رحالة أو زائراً أو عاملاً فقيل فيها ما قيل [1] . ليصبح المكان بتجلياته عنصراً فاعلاً في سرد الشقحاء وما استوعبه , وما اكتنفه. وما أرقه عاملاً رئيساً في توهج ذلك المكان دائما في ثنايا قصصه , وإبراز رؤاها . ومعالم سردها كما سيتضح فيما يأتي.

فكاتبنا محمد منصور الشقحاء في مجموعته التي معنا أراد قد اتخذ من المكان / البيئة العربية مجتمع الكاتب الأم / المملكة العربية السعودية – ميداناً أساسياً له , ينطلق من مداراته . وهذا أمر على غاية الأهمية , جعلنا نحرص من قبل على تتبع الرؤية القصصية , والبنية السردية وما اشتملت عليه من دلالات فنية , ورموز وإسقاطات , وتطور في تكنيكها في هذه المجموعة . انطلاقا من كون المكان قد غدا هنا في بوح الشقحاء الذاتي مكوناً حضاريا. ليتأصل في ذاكرة الأجيال بجمالياته ..بعبقه التراثي , برائحة الأجداد الذين نحن إليهم كما يحن إليهم الكاتب في موروثاتهم ..وشيمهم النبيلة التي يسعى لخلقها الشقحاء وبعثها من جديد في حاضره المعيش.

فنراه يلح على مدينة الرياض أكثر من مرة وهي مسقط رأسه, ولا تغيب عنه الطائف مدينة الشذا والطيب والندى , والتي

---

(١) ملحق جريدة الجزيرة : خاص (للطائف المأنوس " صـ ٥٩ العدد (١٢٧٠٠) السبت ٢٢ من جمادى الأخرة سنة ١٤٢٨ هـ / الموافق ٧ من يوليو سنة ٢٠٠٧ مـ .

غرد فيها كثيراً كما ذكرنا ,وتغنى بالقصة القصيرة في منتدياتها . ومنها انفتح على : المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم, ومكة دائرة الوجد الإسلامي, والثمامة, وجدة, والدمام, ومعالم أخرى في المملكة ومؤسسات وجدت خصوصيتها في سرد الشقحاء مثل: كلية المعلمين , ثانوية البنات, مدارس الطائف, المدارس الأهلية.

والشقحاء وهو في غمرة هذا الحب للمكان / البيئة / ذاته أراد لم يغفل " بريدة" هذه المدينة المتجذرة منذ زمن بعيد في خاطره وتكوينه الروحي حيث أصوله العائلية التي انطلقت إلى الرياض . بل لم ينس محبيه خارج الوطن الأم / المملكة العربية السعودية . حيث نجده يحتفي في قصه بأجزاء عديدة من وطنه الكبير..الوطن العربي , فيذكرها بمسمياتها فقط وكأنها جاءت عرضاً في قصصه ..مثل: القاهرة , دمشق , بيروت , اليمن , فلسطين الحبيبة التي أولاها مكانة خاصة في هذه المجموعة في قصته " أبو سعيد " التي جمع فيها بين الشعبين : السعودي والفلسطيني برباط المصاهرة الوثيق . وهى أمكنة مشتركة في وحدة تشكل هذا الوطن العربي الكبير عبر حدوده المتباعدة سعى إليها الشقحاء بإيمان وإخلاص شديدين . راصداً تحولاتها المتباينة وبخاصة الاجتماعية .

والمتأمل في تاريخ القصة القصيرة في المملكة يتبين له أنها – عبر مراحلها المختلفة " كانت تساوق التحولات الاجتماعية , وتستفيد من المنجزات الجمالية عبر القراءات المكثفة للقصة العربية والعالمية . وقد انتظمت الاتجاهات الثلاثة المعروفة :

*الاتجاه الأول : يتمثل في الالتزام بالواقع من خلال تقصى ملامحه والتقاط جوهره , وذلك في بعده العام , والعمل على إيجاد واقع فني موازٍ له من ناحية أخرى وذلك في إطار رؤية إنسانية .

* الاتجاه الثاني: ويتمثل في التعامل مع التجربة الذاتية والحفر في نخاعها والتوفر عليها وذلك لامتياح ما هو جوهري فيها.

* أما الاتجاه الأخير: فيتمثل في ذلك التكثيف المتعمد للقصة , والانشغال بجمالياتها بعيداً عن الهموم الاجتماعية والخاصة وملاحقة التطورات والمنجزات في هذا المجال , ومن ثم تحويل عناصرها إلى إشارات عامة تستدعى على محور الاستبدال فيها نصوصاً متعددة تجعلها مجالاً واسعاً لتأمل التراث الإنساني[1].

وهذا الاتجاه الأخير ممارسته توصف أقل ما توصف بأنها ممارسة سردية متناثرة الأشلاء غير منهجية. بينما يبقى الاتجاهان : الأول والثاني على وجودهما الحقيقي في الخطاب السردي المعاصر, حيث تظهر القصة القصيرة في إطارها مسبوكة سبكاً فنياً مترابطاً في بنائه وحكيه, صادقة في لغتها التي تنطق بلسان شخصوها لتترجم روى كاتبها . لاسيما أن اللغة من أهم أدوات المبدع التي تبرز قدرته الفنية , وتكشف مكانة إبداعه في نفوس متلقيه . وهو ما مضى صوبه كاتبنا الشقحاء في سرده القصصي حيث التفاعل مع البيئة / المكان , والانطلاق بقصه الذي جاء علامة بارزة , ووجها مشرقا من ملامح الإبداع العربي السعودي المعاصر وبخاصة في مجال القصة القصيرة . التي " أحوج ما تكون إلى التكثيف في شتى عناصرها [2] ".

---

(١) آفاق الروية وجماليات التشكيل .. مداخل نظرية ومقاربات تطبيقية في القصة السعودية القصيرة : د/ محمد صالح الشنطى صـ ٥٩٣ ٥٩٤ بتصرف . من إصدارات النادي الأدبي – حائل سنة ١٤١٨ هـ , وللمزيد أيضاً يراجع هنا :
القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية : سحمى ماجد الهاجرى ط أولى – النادي الأدبي بالرياض – سنة ١٤٠٨هـ سنة ١٩٨٧ مـ .

(٢) بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ .. دراسة في الزمان والمكان :محمد السيد محمد إبراهيم صـ ١٤٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر سنة ٢٠٠٤ مـ .

والشقحاء المتجدد المتطور نراد فى هذه المجموعة يضيف إلى مساره التقني في القصة القصيرة جديداً , فقدم لنا ست قصص قصيرة متنوعة في شكل جديد مواكباً ذلك التطور الذي تعيشه القصة القصيرة فى المملكة اليوم ,باتجاهها نحو "اختزال القصة القصيرة فى حيز ضيق للغاية بحيث لا تتجاوز عدة سطور .وهو اتجاد من الاتجاهات الحديثة التي برزت في القصة السعودية القصيرة وتبناها بعض الكتاب أمثال : يوسف المحيميد ومحمد المنقرى وتركي السديرى وعبد العزيز الصقعبى[1] ومحمد منصور الشقحاء . حتى انفتحت عليها الأجيال المعاصرة بصورة استرعت انتباد للمؤسسات الثقافية والأدبية فى المملكة فعقدت لها المؤتمرات والندوات التى تقف على تطورها وعوالمها والمميزات الدلالية لهذا الجنس الأدبي الجديد وخصائصه . ورأينا من هذا الجيل العباس معافا. وجبير المليحان , وعبد الله التعزي , وعبد الحفيظ الشمري , وفهد المصبح , وسليمان الطويهر ونورة شروانى وأنصار كثر لا حصر لهم فى الأقطار العربية يبدعون هذا اللون الأدبي . الذي أجمعوا على تسميته " بالقصة القصيرة جداً " وإن رأى العديد من النقاد خلاف ذلك المسمى كما سيأتي .

"والقصة القصيرة جداً" تعد من أهم الأجناس الأدبية الحديثة التي ارتبطت بالتحولات المعاصرة للإنسان في القرن العشرين. ذلك القرن الذي بدأ يعرف حياة متقدمة سريعة بفضل التطور التقنى والعلمي والصناعي والرقمي ,مما جعل الإنسان يعيش في دوامة من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي

(١) آفاق الرؤية وجماليات التشكيل : د / محمد صالح الشنطى صـ ٥٣٩، مرجع سبق ذكره . . .

ازدادت حدتها مع مطلع قرن جديد حمل كثيراً من التحولات فى كل شئ..

ومن جراء ذلك هجر الإنسان حياة الفطرة والبساطة , وابتعد عن نقاء النفس والطبيعة لينتقل إلى فضاءات المدينة والمدنية التي ألغت التأمل والبطء في التفاعل مع الأشياء ليجد الإنسان نفسه في دوامة من التغيرات التي تستوجب السرعة في التكيف والتأقلم مع مستجدات العالم الموضوعي. وقد أثر هذا الجانب سلبا على المستويات الحياتية والثقافية والتعليمية , فتخلى الإنسان عن قراءة النصوص المسترسلة والروايات الطويلة وعوضها بالنصوص الأدبية القصيرة وقراءة عناوين مقالات الصحف والأعمدة المثبتة على صفحات الجرائد والمجلات مع ملء الكلمات المتقاطعة وتأمل الصور المثيرة وغير ذلك من تطور تقنى وتكنولوجي صرفنا كثيرا عن التأمل والتدبر[1].

لهذه الأسباب وتلك الدواعي , ظهرت القصة القصيرة جدا لتستجيب لهذه التحولات المعاصرة السريعة , منبثقة ومتفرعة كما هو معلوم عن مجموعة من الأجناس الأدبية المجاورة لها كالقصة القصيرة والأقصوصة والرواية , بل عن خطابات أدبية أخرى كالحديث والخاطرة , والمثل , والنكتة والنادرة واللغز .

ولا نريد أن يمتد الحديث عن ذلك الجنس أطول من ذلك فليس هذا مجاله أو موضعه , لكن لابد من الإشارة إلى أن هذا الجنس الأدبي " قد ظهر أولاً بأمريكا اللاتينية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين , بينما لم يظهر في عالمنا العربي إلا

---

(١) للمزيد حول هذا الجنس يراجع : " مميزات القصة القصيرة جدا ومرجعياتها الثقافية والواقعية " د / جميل حمدان من صـ ٣٠ ٣٩ مجلة : أبعاد :العدد (٣) ذو القعدة سنة ١٤٢٩هـ نوفمبر سنة ٢٠٠٨ م .

في العقود المتأخرة من القرن الماضي (العشرين) بالشام والعراق[1] " لينتقل عبر ربوع العالم العربي ويزدهر مع هذه الأصوات الإبداعية من كتاب القصة المتميزين في المملكة فى المعاصرة معن أشرت إليهم آنفاً ومنهم الكاتب السعودي المبدع محمد منصور الشقحاء فى مجموعته التي معنا " الغياب " والتي جمع فيها بين الشكلين : القصة القصيرة, والقصة القصيرة جداً معلناً أنه من أولئك الكتاب الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة . فهم مؤمنون بالتجديد ولكن ليس على حساب أصالتهم . بل ينطلق تجديدهم من أصول ثابتة تعالج فى الوقت ذاته قضاياهم المعاصرة , وتواكب سنة التطور والتقدم . فقدم الشقحاء مثل هذا التطور فى ست قصص متنوعة فى الشكل الجديد للقصة القصيرة وهذه القصص هى : " العون , الخادمة , رغبة , الرابع, الرهان, إيلاف".

أقول تطوراً وتجديداً لسبب بسيط أننا قد ورثنا عن كثير من أساتذتنا النقاد : أن القصة القصيرة " ينبغي أن تكون قصيرة حقا . أي لا تستغرق أكثر من ساعتين فى قراءتها (من نصف ساعة إلى ساعة أو ساعتين) – ولكن هذا التحديد الزمني قديم [2]. وسرعان ما جاء إلينا التحديد الحديث (الذي يذهب إليه أيضاً معظم النقاد) وهو أن يتراوح طولها بين خمس صفحات، وثلاثين صفحة. فإذا انتهت عند خمس صفحات صارت " أقصوصة " وهو نوع أدبي ذاع فى بلادنا مثلما ذاع في العالم مع الصحافة والإذاعة . وإذا زادت عن ثلاثين صارت رواية قصيرة [3].

وكاتبنا الشقحاء تخطى هذا التحديد بالتكثيف والتكنيز والاختزال , وهو ما يدركه القارئ لتجاربه القصصية السابقة " العون

(١) المرجع السابق : صـ ٣١ .
(٢) قال بذلك الناقد الأمريكى : (ادجار آلن بو) فى معرض تعريفه للقصة القصيرة . راجع هنا للمزيد من آرائه فى : الأدب وفنونه الأدبية : د / محمد عنانى صـ ٩٤ .
(٣) المرجع السابق : صـ ٩٤ .

, الخادمة , رغبة , الرابع ، الرهان , إيلاف " مواكباً بذلك التطور الذي لحق فن القصة القصيرة مؤخراً وأنتج لنا هذا الجنس الجديد " القصة القصيرة جداً[1] " والذي أراه تطوراً طبيعياً لفن القص يشبه قصيدة التفعيلة التى جاءت تطوراً طبيعياً للقصيدة العربية العمودية .

أراد الشقحاء أن يقدم – من خلال سرده السابق – قصة ذات طابع خاص فى عالم السرد والتشكيل الفني . فجاء الحكى فيها فى صورة مشاهد متنوعة تعددت وتنوعت في مضامينها إلا أنها مترابطة فيما بينها بخيط درامى واحد ، هو ما يجعل بقية المشاهد تنويعا على لحن واحد . أو تفصيلاً لمجمل لم يتبرأ الشقحاء ولو للحظة من صلته الحميمة بهذا اللحن / اضمحلال الإنسان واقعياً / القهر بأشكاله . مما أرهق الكاتب الإنسان وهو يغوص متفرساً ملامحه العديدة فى وجوه ضحايا الواقع الاجتماعي حيناً , وحيناً آخر وهو يكشف الاضمحلال الخلقي لإنسان العصر وسقوطه قيمياً مما نطالعه بوضوح فى قصتيه : " إيلاف " و " الرابع " .

ومن يقرأ محمد منصور الشقحاء فى " إيلاف " يرى أنه يصدر فى سرده هذا عن رؤية واقعية ذهنية فلسفية تتغنى بالإنسان الذى صار كائناً تراجيدياً مهزوماً ممسوخاً ينهشه السأم الوجودي . ولم يجد أمامه سوى الموت الفتاك .. يقول الشقحاء في " إيلاف " مصوراً ذلك الدال الإنساني بعد تسلله إلى خلجات الشخصية / البطل ورصد ما بداخلها

---

(١) يراجع آخر أعماله في هذا اللون والتي لم تنشر بعد إلا في المجلات السعودية، وقد أثبت العديد منها في ذيل الدراسة على سبيل المثال: أنظر المجلة العربية : العدد (٣٨٢) ، السنة (٣٣) – ذي القعدة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م . ومجلة ابعاد: العدد الثالث : ذو القعدة ١٤٢٩ ٢٠٠٨م.

" لما اكتشف إيلاف أن الحزن الذي مزق أيامه الأخيرة , جاء بعد إدراكه أنه لايعرف هدفه ، فقد كان يسير مقتاداً من والد يدفعه للنجاح ويوفر له ما يريد . وأم سريعة الغضب دائماً , صوتها مرتفع .

جلس هذا الصباح على رصيف الطريق العام الذي اعتاده وبجواره مذكراته الجامعية , وأقبلت شاحنة , انتصب واقفاً ولما اقتربت ألقى جسده الذي لا يملكه بين عجلاتها[1]" .

ولأن "القصة القصيرة جداً" في أبعادها المرجعية ورهاناتها المقصدية تحمل الرؤية الإنسانية المغلفة بالنزعة التراجيدية التي تعلن نهاية الإنسان في زمننا المعاصر , وإفلاسه كينونياً , وانبطاحه أخلاقياً وسقوطه قيمياً بعد أن انساق وراء بريق المادة , ومفاتن الغواية, وسيقان الإباحة والجسد كما ذهب الدكتور جميل حمداوى[2] . رأينا انفتاح الشقحاء عليها لمعالجة هذا التفاقم القيمى في عالمه الذي يحتاج إلى تطهير د بقيم أصيلة ثابتة من خلال هذا السرد الذي يفضح هذا الواقع ..يقول الشقحاء فى قصته " الرابع " معرضا بهذا السقوط القيمى فى مجتمعه :

" نجلس على حافة الطريق المؤدى إلى الثمامة . توقفت عربة وأطل قائدها , سلم ثم قال أكمل الرابع . لم ينتظر ردنا , ترجل وجلس , أخرج من جيبه ورق اللعب [3] "

والمتأمل في هذا الشكل السردي يجد كاتبه قد عبر عن رؤى متعددة

---

(١) الغياب : صـ ٥٩ .

(٢) أبعاد : صـ ٣٢ العدد (٣) ذو القعدة سنة ١٤٢٩ هـ نوفمبر سنة ٢٠٠٨ مـ بتصرف.

(٣) الغياب : صـ ٥٣ .

ومعان ممتدة فى الفكر بعبارات بسيطة مكتنزة , وتكثيف فني لا يستغرق القارئ لهذه الرؤى السردية أكثر من دقيقة أو دقيقتين للانتهاء منها , فيخرج بصورة سردية مجسمة ذات أبعاد . وذات دلالات وذات شكل فني جديد هو " القصة القصيرة جدا " من الممكن أن نطلق عليه " القصة اللقطة " أو القصة الصورة ,أو الإسكتش [1] . وذلك لأنها تأتى فى صياغة موجزة جداً ينحصر فيها هم الكاتب فى تصوير لقطة من لقطات الحياة لاستشفاف معنى باطن قد تمر به العين ولا تراه , وتبدو النهاية هنا مفتوحة فى الغالب ..وهذا يوفر صياغة موجزة تغنى عن صفحات عدة من الوصف القصصي ، وتبرز مهارة الكاتب. ذلك أن" مهارة التلخيص تمثل جزءا من كفاءة السرد ذاتها"[2].

ولا عجب في ذلك " فإن كل كلمة , وكل جملة , يجب أن تكون ثملة بالمعنى , و بأكبر قدر من الإيحاء , وأن تكون طاقتها قادرة على التحمل , لكي تحقق القصة إنجاز الإبداعات الكبرى [3] كالذي رأيناه عند كاتبنا محمد منصور الشقحاء هنا فى هذه الإسكتشات النقدية اللاذعة التى ترجمت صورته القصصية , وبلورت فلسفته السردية التى تغنت بالإنسان فألمت للمقهورين والمستضعفين , وتأست على تراجع القيم فى عصرها .

- ٨ -

في النهاية لا نملك إلا أن نقول: إن السرد الفني الذي قدمه محمد منصور الشقحاء من خلال مجموعته " الغياب" يخبر عن كاتب واع ملتزم ، ويؤكد معاناته الفكرية وحسه الصادق، ووعيه الإنساني

---

(١) الادب وفنونه الأدبية : د / محمد العنانى صـ٩٧ .
(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص : د/ صلاح فضل ص ٣١٤ – ط مؤسسة مختار للنشر – القاهرة ١٩٩٦م.
(٣) القصة القصيرة دراسة ومختارات : د/ الطاهر أحمد مكى صـ ٧٣ .

بالآخرين، وتمكنه من عناصر الدراما والرمز واللغة السلسة التي تجعل القارئ يعيش معها ومع كاتبها. ويعلن في الوقت ذاته عن علاقته الحميمة بمجتمعه، وتوغله في أعماق النفس الإنسانية لاسيما المقهورة المستضعفة. وذلك من خلال شكل فني درامي متطور يجعل من قراءة هذا السرد المتميز متعةً فنية وفكرية ووجدانية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها..

وهو ما يجعلنا نؤكد ما جعلناه استهلالاً لهذه الدراسة من أن الشقحاء بقصة في " الغياب" يؤكد أن القصة القصيرة أصبحت جزءا رئيساً من النسق العربي، لاسيما بعد تفاعلها وتحاورها وتجاوبها مع الواقع العربي، وزواجها زواجاً شرعياً بالبيئة العربية في اهتماماتها، واتجاهاتها، وأمزجتها الخاصة والعامة وعلاقاتها المتباينة.

أخيراً...

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أسديت لأدبنا العربي المتأصل والمتألق معروفاً، وأضفت لبنة إلى لبناته العظام. وأن أكون قد كشفت عن جانب إنساني مشرق من إبداع أديب كبير من أدباء العربية في المملكة السعودية عرف بعطاء أدبي متنوع ما زال أرضا خصبة للنقد والدراسة والبحث.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمين.

والحمد لله رب العالمين،،،

د/ علي عبد الوهاب مطاوع

-٩-

نصوص مختارة

آخر ما أبدع "الشقحاء" في الفن القصصي

*** قصص قصيرة جدا:**

(فقر)

أين تكمن الحقيقة ، وقد سرى العفن في جذوع الأشجار فيبس ورقها وتقصفت أغصانها؟! وأنا أعيد النظر في الأيام السابقة، جاء كتابي فارغاً لاشيء فيه.

تنفست دخان الشيشة فتلوى كما حية ازدردت التراب. تكرر المشهد الذي انتشلني منه نادل المقهى بحديثه عن المطر المنهمر.

***

(صفاء)

جاء اسمي من الصفاء مع أن لون بشرتي أسود، في ليلة غفى عنها الزمان لمحته يجلس وحيداً ويسطع بياضا في فضاء المكان أخذ يتحلل في جسدي، مع شقشقة الصباح سألتني أختي بفزع عن تغير لون بشرتي.

***

(جيرة)

عرفته ونحن في عامنا الثاني، يأخذ أشيائي ويعترض طريقي وتخرّجنا في المرحلة الابتدائية ودرسنا فصلاً واحداً في المرحلة المتوسطة.

وبعد أربعين عاماً وجدته أمامي تبسم وهو يحدق في سبحة بين أصابعي اقتنيتها منذ أيام، بهدوء سلمتها له وخرجت من المكان.

(أطلال)

لفت نظري طوله وصوته الرخيم، أمي تحثني على إنهاء الحوار خوفاً من التأخر.

قال: سوف أوصلكم وطلب من خادمه صرف سيارة الأجرة التي جئنا بها ، وأنا أترجل من العربة عرفت أنه اكتشف كذبي وهو يقرأ اسم والدي بمحاذاة باب الدار.

***

(التعب)

وأنا أنتظر عودتهم أنساني التعب بدراً ابن الثالثة الذي اعتاد النوم في حضني قبل حمله لغرفته، ركضت أبحث عنه في أرجاء المنزل الكبير ووجدته يرقد في فراشي تمددت بجواره.

****

(الردف)

يجلس على مقعد خشبي تجاوزته وطفلها الذي أركبته لعبة السلالم المزروعة مع ألعاب أخرى في المكان ولما اندمج مع الآخرين، جاءت وجلست بجوارد بادرته الحديث سألته عن ابنه أجاب أنه هناك وهو يرمق السماء. أمسكت بكفه مشى بجوارها وعند محاذاته للعبة انفلت الطفل من رفاقه وتعلق به.

****

(غفوة)

تمدد في مقعده أمام شاشة التليفزيون ، يتابع أحداث مباراة بين فريق النادي الذي يميل إليه وفريق ناد آخر.

فريقه مهزوم بهدف جاء في الدقيقة السابعة. سيطرت عليه لحظة خدر فنام.

شع نور من سقف المنزل ، طار كما يحلق النورس، حوله صوت أطفاله الثلاثة وزوجه، أدرك أنه وصل ، دفع بوابة أمامه ودخل، فانهالت عليه عيارات نارية من كل مكان، تنبه لصراخ أطفاله وزوجه.

كان فريق ناديه المفضل يسجل هدفه الثاني، تلفت حوله لم يكن هناك أحد.

***

مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم ... كلام الله سبحانه وتعالى.

أولاً: المصادر والمراجع:

١- آفاق الرؤية وجماليات التشكيل:

مداخل نظرية ومقاربات تطبيقية في القصة السعودية القصيرة:

د/ محمد صالح الشنطي – إصدارات النادي الأدبي بحائل – السعودية سنة ١٤١٨هـ

٢- الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية:

د/ مسعد بن عيد العطوي ط أولى – إصدارات النادي الأدبي بالقصيم – السعودية سنة ١٤١٥هـ.

٣- الأدب الحديث تاريخ ودراسات:

د/ محمد بن سعد بن حسين جـ ٢ – الطبعة الخامسة – مطابع الفرزدق – الرياض – سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٩م.

٤-الأدب في عالم متغير: د/ شكري محمد عياد – ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة سنة ١٩٧١م.

٥- الأدب وفنونه الأدبية: د/محمد عناني – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م، سلسلة مكتبة الشباب ، رقم (٤) وزارة الثقافة المصرية.

٦-الأسلوب: د/ محمد كامل أحمد جمعة – ط ٢ ، مكتبة القاهرة الحديثة – القاهرة، سنة ١٩٦٣م.

٧- البحث في آفاق أرحب .. مختارات من القصة الكويتية المعاصرة : إعداد وتقديم د/مرسل فالح العجمي – كتاب العربي رقم (٧١) ط، الكويت – يناير سنة ٢٠٠٨م.

٨- بلاغة الخطاب وعلم النص : د/ صلاح فضل . ط مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٩٦م.

٩- بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٤م.

١٠- بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ .. دراسة في الزمان والمكان:

محمد السيد محمد إبراهيم – الهيئة العامة لقصور الثقافة – مصر سنة٢٠٠٤م.

١١-التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث: د/ صابر عبد الدايم يونس، ط أولى- الخانجي – مصر – سنة ١٤١٠هـ - ١٩٠م.

١٢- جماليات القصيدة المعاصرة: د/ طه وادي – ط ٣ ، دار المعارف المصرية، سنة ١٩٩٤م.

١٣- ابن حسين بين التراث والمعاصرة : د/ طلعت صبح السيد – ط أولى – الحميضي – الناشر دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع – الرياض- سنة ١٤٢٢هـ - سنة ٢٠٠١م.

١٤-دراسة في القصة القصيرة عند محمد الشقحاء: د/ طلعت صبح السيد- ط أولى- دار الحارثي – الطائف ، سنة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٥- رائحة الزهور البرية : مجموعة قصصية لصالح الصياد ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م.

١٦-عن الدهشة والألم ٥٠ قصة بأقلام عربية : تقديم د/ سليمان العسكري ، كتاب العربي – رقم (٦٨) ط الكويت – إبريل سنة ٢٠٠٧م.

١٧- عن اللغة والأدب والنقد .. رؤية تاريخية ورؤية فنية : د/ محمد أحمد العزب ط أولى – دار المعارف المصرية سنة ١٩٨٠م.

١٨- الغياب : قصص قصيرة- محمد منصور الشقحاء – ط أولى- أصوات معاصرة – السنة (٢٦)، العدد (١٤٥) مايو سنة ٢٠٠٥م.

١٩- في الأدب العربي الحديث: د/ حمد بن ناصر الدخيل – ط أولى – إصدارات النادي الأدبي – حائل- السعودية سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢٠- في القصة العربية : د/ يوسف حسن نوفل ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية سنة ١٩٩٢م.

٢١- القصة العربية أجيال وآفاق: كتاب العربي رقم (٢٤) ط الكويت – يوليو سنة ١٩٨٩م.

٢٢- القصة القصيرة .. دراسة ومختارات : د/ الطاهر أحمد مكي – ط ٣ – دار المعارف المصرية، سنة ١٩٨٣م.

٢٣-القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية : سحمي ماجد الهاجري- ط أولى- النادي الأدبي بالرياض – السعودية سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢٤- لسان العرب : لابن منظور المصري – ط دار المعارف المصرية.

٢٥- المحطة الأخيرة .. حكايات وقصص قصيرة: محمد منصور الشقحاء – ط أولى – دار الفارابي – بيروت – لبنان ، سنة ٢٠٠٨م.

٢٦- مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي : د/ عبد الله بن سليم الرشيد – ط أولى – مطابع الحميضي – إصدارات نادي القصيم الأدبي – بريدة – السعودية سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٧- المشهد الشعري في رباعيات حسين على محمد: د/ على عبد الوهاب مطاوع – ط الراعي – مصر – سنة ٢٠٠٥م.

٢٨- المعجم الوجيز: تصدير الدكتور إبراهيم مدكور – مجمع اللغة العربية – مصر – سنة ١٩٩٢م.

٢٩- المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفي وآخرون – نشر مجمع اللغة العربية – مصر- سنة ١٩٨٠م.

٣٠- مقالات في الأدب العربي المعاصر: د/ حسين علي محمد . ط سلسلة أصوات معاصرة – مصر، العدد (١٣٥)، السنة (٢٥) ديسمبر سنة ٢٠٠٤م.

ثانيا: الصحف والمجلات:-

١- أبعاد : العدد الثالث – ذو القعدة سنة ١٤٢٩هـ – نوفمبر سنة ٢٠٠٨م.

مجلة فصلية تصدر عن نادي القصيم الأدبي – بريدة – العربية السعودية.

٢- الأربعاء : عدد العاشر من المحرم سنة ١٤٣٠هـ – الموافق السابع من يناير سنة ٢٠٠٩م، جريدة ثقافية تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع عن مؤسسة المدينة – العربية السعودية .

٣- جريدة الشرق الأوسط : العدد (٣٥٧١) الأربعاء ١٩٨٨/٩/٧ م.

٤- جريدة صوت الأزهر : عدد الجمعة -١٩ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٥ من إبريل سنة ٢٠٠٧ م.

٥- لطائف المأنوس : العدد (١٢٧٠٠)السبت ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨هـ - ٧ من يوليو سنة ٢٠٠٧ م . ملحق جريدة الجزيرة - السعودية .

٦- المجلة الثقافية : العدد (٢٥٩)الاثنين ٥ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩ هـ - ٣ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨ م ملحق جريدة الجزيرة الأسبوعي الثقافي .

٧- المجلة الثقافية : العدد (٢٦٠)الاثنين ١٢من ذى القعدة سنة ١٤٢٩هـ ١٠ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨ م. ملحق جريدة الجزيرة الأسبوعي الثقافي .

٨- المجلة الثقافية : العدد (٢٦٢)الاثنين ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٤من نوفمبر سنة ٢٠٠٨ م .

٩- المجلة العربية : العدد (٣٨٢) السنة (الثالثة والثلاثون) - ذو القعدة ١٤٢٩هـ/ نوفمبر ٢٠٠٨.

تم بحمد الله وتوفيقه ..